ديوان عودة الهديل

حاصل على جائزة شنقيط

إنتاج: الأديب الشاعر/ محمد الحافظ ولد أحمدو

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

تعرف الساحة الأدبية، منذ عقود من الزمن، حركة دائبة نحو التجدد والانبعاث جاءت مساوقة لما شهدته البلاد من تحولات حاسمة بفعل عوامل خارجية وطبيعية داخلية معلومة، غير أن هذه العوامل نفسها هي التي فككت طرائق إنتاج المعرفة وتوزيعها في مجتمع بالغ الخصوصية، من هذه الوجهة على الأقل، وخلّف انهيار المنظومة التربوية المحظرية تحت وطأة الجفاف فراغا في التواصل جسده اختفاء ظاهرة التخزين الذهني (الحفظ) والمادي (النسخ) وكرسه غياب آلية بديلة كالصحف ودور النشر مثلا.

لم يكن صدفة، إذن، أن كان من أول الأحلام التي راودت أدباء الشباب منذ أواسط السبعينيات، نشر الإنتاج الأدبي الموريتاني والتعريف به، وأن كان ذلك من أبرز أهداف رابطة الأدباء الموريتانيين الوليدة.

ورغم الجهود التي بذلت لتلافي هذا النقص من خلال مجموعات أو منوعات نشرتها الرابطة هنا وهناك، أو أعمال نشرها أصحابها، فإن الأدب الموريتاني ظل أشبه شيء بحديث النفس لغياب الصلة بين المبدع والقراء من جهة بمن فيهم الناقد، وبين الناقد والقراء بمن فيهم المبدع من جهة أخرى.

في هذا السياق الموصوف تسعى رابطة الأدباء والكتاب الموريتانيين إلى الإسهام في خلق فضاء للتواصل بين أفراد أسرة الأدب من خلال إقرارها مهرجاناً سنوياً للأدب الموريتاني يلتقي فيه مختلف أجيال الكلمة الأدبية ومن خلال مجلة "الأديب" التي تطمح أن تكون منبرا للمبدعين ولنقاد الإبداع ومحلليه.

في إطار هذا السعي إلى خلق فضاء للتواصل تنشر الرابطة اليوم خمسة أعمال شعرية للسادة:

- محمد الحافظ ولد أحمدو: عودة الهديل
- محمد عبد الله ولد عمر: دمع الغروب
- محمد ولد المختار ولد أبن: أهازيج الربيع
- محمد ولد الطالب: الليل والأرصفة
- ومحمد كابر هاشم: حديث النخيل.

والله من وراء القصد

محمد كابر هاشم
رئيس الرابطة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بين يدي هذا الديوان

لقد تعددت دلالات رمز الهديل هنا، فمنها أنه رمز العزة العربية المفقودة التي يندبها العرب كما تندب الحمامة الهديل، أي فرخ الحمام، ومن رموزه أيضا الشعر العمودي، فالهديل الذي هو غناء الحمام أي ندبه للهديل، هذا الهديل المفقود يمكن خلع رمزه على الشعر العربي عن طريق الإسقاط، هذا الشعر المسكين الذي أصبح مثخنا بجراحات الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولأمر ما ربط أحد كبار رجال الفكر والأدب بالمغرب العربي بين الشعر العربي بوصفه ديوان العرب، وبين الكرامة العربية والعزة القومية، وكأنه كلما اعترى هذه البحور الخليلية الزاخرة عيث وتحريف راح ضحية لذلك شلو من أشلاء هذه الأمة المنكوبة. فعندما لاثت هذا الشعر تغيرات « التوشيح » سقطت الأندلس، وعندما عاثت الأيدي الشعوبية بالشعر العمودي عن طريق الشعر الحر ، سقطت فلسطين في أيدي المحتلين، كما عبر هذا المفكر الأديب، وكأن عمود الشعر العربي تعويذة سحرية وتحويطة من الأوفاق تحفظ على الأمة بيضتها، ومهما يكن فالمؤرخون للأدب العربي الحديث مجمعون تقريبا على أن تجربة الشعر الحر تزامنت مع نكبة فلسطين، وتسمية الديوان عودة الهديل، هي من باب تسمية الكل باسم البعض، لأن عودة الهديل هي في الأصل عنوان إحدى قصائد الديوان، وعودة الهديل (القصيدة) هي قصة شعرية رمزية، توظف الأسطورة وتتكئ على الرمز أبطالها:

1 – الهديل: وهو فرخ حمام أضلته أمه فيما تزعم العرب أيام طوفان سيدنا نوح عليه السلام، فلا تزال كل حمامة تبكيه أبد الدهر.

2 – الرعبوب: وهي امرأة على أكمل ما تكون النساء فتنة وتمام حسن، اعتنت القصيدة برسم صورة تفصيلية لها، مزاوجة بين الوصف الروحي والمادي، فجيدها الأغيد الحسن الناعم جدول من المرمر الرقراق، وصدرها حقل خضل من حقول الرمان، وخصرها جزيرة أسطورية من اللؤلؤ، وجفونها الحوراء قاطعة كالسيف المرهف، وصوتها الرخيم المبغوم انجيل حب منزل، وهكذا تتشكل الرعبوب نهرا من الأنوثة يمشي على قدميه، وتتشرنق من قصة الرعبوب قصة أسطورية بطلتها «سعلاة» أي أنثى من ساحرات الجن تتقمص فارة، تحمل هذه الفارة حملا أسطوريا، فتلد أمَّة من الجنان تتكاثر كتكاثر «الدّبا» وهو صغار الجراد، وكانت الرعبوب وهي الفتاة المرفهة المدللة قد تصادفت مع السعلاة التي تتقمص الفارة، فإذا هي فارة عشراء على أتم ما تكون الحبلى مخاضا، فقالت لها على سبيل المداعبة إذا أدركك الطلق فآذنيني فإنني قابلة ماهرة، ولم تمض أيام قلائل حتى أرسلت الفارة إلى الرعبوب تستنجز وعدها بالقبالة :

قالت لها إما تحسني الطلق فالـــــ ـتمسي بهذا البيت قابلة الغـــلام ..!
وعلى جدار الصمت نبأة فـــارس: مولاتي السعلاة تقرئك الســـــلام.. !
تستنجز الوعد الذي أعطيتهـــــــا فاستقبلت مثل (الدبا) النسل الفئـام..!

وتقوم الرعبوب بهذه القبالة الغريبة، في جو مشحون بالرهبة والدهشة، وإذا بأهل السعلاة (الفارة) قد أعدوا الربق لهذا السيل العرم من الأولاد كأنه سيل عارم من البهم (أولاد الغنم).

والأسطورة في الأصل موريتانية المولد والمنشأ، توردها العجائز لبناتهن الشّوابّ على سبيل العظة والتأديب، من أجل تحاشي الفضول، وعدم التعرض للهوام التي يعتقدن أن الجن تتحد بها، وهي في نتيجتها ذات مدلول إنساني مفاده أن:

من فعل الخير لا يعدم جـــــوازيه لا يذهب العرف بين الله والنـــــاس

كما قال الحطيئة، ذلك أن الجن يخطفون ابن أخت الرعبوب ليبدلوه بأحد أبناء النفساء التي حضرت هي لقبالتها، ولكن هذه النفساء- وكنـــوع من رد الجميل – تنبه الرعبوب على ذلك، وتحتالان للصبي حتى يعيده الجنان إلى الإنس، عن طريق غرز إبرة في قدمه، وتمر الرعبوب بأطوار غريبة، منها الاتصال بهذه الغيلان المتغولة، ومنها الإغماء، أو الصرع الروحي الذي تخضع له بين الحين والآخر، وكأن القصيدة أرادت أن تمرر من خلال ذلك تناقض الأدوار التي ستلعبها الرعبوب في وقت واحد، وأن تسلكها في مدرج من خرق العادة، بدأت الرعبوب طوطما هنديا أو قل عربيا، لأن القصة بلحمها ودمها ذات نسيج عربي، وهي تتقمص حمامة هي فيما يظهر أم الهديل، وهي طيف هائم كأنه ذكرى الشباب، ويرد وصف للطبيعة المحيطة بالحمامة الطوطم، يوحي إلينا بأن زمان القصة شبيه ببداية الجفاف في موريتانيا، حيث تضرم الريح فحيحا كفحيح الأفاعي في هذه الرمال المتناوحة النكب في مجابات الصحراء، وهينوم الريح يتذاءب رتيبا مهيبا في تلك الفلوات الجرز في جنح الليل، والليل جمل عود أدرد يأكل شجر الظلام أي أنه ملازم لتحريك دردريه (أي مغارز أسنانه الدرداء) واللوحة السريالية للشجر ذات صلة بتشكل الغيلان في هذه الدءادئ الدامسة الظلام، والرعبوب تناغي طيف الهديل، وكأنها صوفية تراه من مرايا التجلي في كل شيء، والرعبوب الحمامة رقوب أي كثيرا ما تفقد ولدها،

وبينما هي تناجي الهديل في أوبة قطعان الماشية، ربابة رخيمة الصوت، إذا هو يتشكل لها عنقودا من الأنغام ترقّص أعطافه عيون الحور، ثم ما نلبث أن نلتقي بالرعبوب وكأنها بطلة من أبطال القصص العذري تنتظر عاشقا يخاطر في طريقه إليها بمواثبة الأسود الرابضة المنقبضة على براثنها، والوحوش الكاسرة المتربصة، وإذا البطل الذي اتخذته الرعبوب أملا منتظرا يتلألأ في سماء ظنونها نجما فرقديا وصباحا نديا، تربت أنامله الحريرية على أكتاف شواهق الجبال مع تنفس كل صباح، وإذا هو مرة وعد بظهر الغيب مغلولة خطاه إلى عنقه،أو هو حلم يتراءى للمستحيل إذا هجع هذا المستحيل فهوم، والكوابيس وغوائل الأشباح مسرح روحه، وإذا هو كائن أسطوري في وهاط ووهاد ومهاوي «برمودا» يعوم مع الغيلان، ويطفو على مرآة ذلك الممر المائي السحري، ثم سرعان ما نرى الرعبوب زيتونة فلسطينية وزوجا من الحمام محلقا على القبب والأعلالي وهي تغني «الهديل» وتنبش عنه وتفتش في كل سانحة وبارحة، فمرة يتجلى في شقشقة الطيور وسقسقتها، وفي عيون مياه الصحاري التي لا تغور، وهي مرة تستحضره عن طريق الأوفاق السحرية، ثم نراها مرة تفتش عنه في السراديب، مما يعيد إلى الأذهان فكرة المهدي المنتظر عند بعض الطوائف، وهو أي الهديل روح مهومة حول كل ساقية جفت ضروعها وفي هياكل أطلال الخرابات الغافية على مهد أسطوريتها، وأخيرا ندرك السر في اختفائه، لقد خطفته أيدي الجن حال كونه وردة نرجس، وهو على كل حال زاد روحي للرعبوب، تعتصم بذكراه وتفزع إلى طيفه كلما أحدق بها الخطر:

مهما تغر خيل به هتفت عصام أخرج من السرداب أمك في فصام

وهي تناجي عصاما أو البطل المنقذ المخلص في مونولوج شاك حزين، وإذا هي أي الرعبوب خالة لعصام بطل القصة المتشرنقة مرة أخرى وكأنه ابن أختها خطفته الجن ليلة قبالتها للسعلاة:

ورأت هنا الرعبوب برعم أختهـــــا في صبية م الجان في قزع الغمـــام
في كفه حجر سيهزم عصبـــــــة تدعى بني صهيون يظهر في الشـــآم

فهو إذن مدخر العناية الإلهية المخلص، وإذا هو قد ترك في فلسطين معشوقته «رشا» والرشأ في الأصل (على وزن «فعلٍ» محقق الهمزة) ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى، وإنما سميت هذه الفتاة بهذا الاسم على سبيل التشبيه أو كأنه تدليل لها، والذي يعنينا هنا أن «رشا» هذه هي بنت عم عصام ومعشوقته، فهي صفحة في ذاكرته من كتاب حب طاهر عفيف عاشه في غزة، والرعبوب وهي تستنجده تناشده بذلك الحب وتسترحمه وتغريه بأخذ الثأر:

وأنا هنا وأبو «رشا» الشيخ الضعيـــف و«رشا» أتذكر ذلك الحب العفيـــف
في غزة وحقـــــــولنـا منهوبـة وخيولنا والحي يا ولـــــدي خلـوف

خلوف: (بضم الخاء على وزن ألوف)، قد ذهب رجاله في الغزو ولم يبق إلا النساء، ويكون الزلزال البشرى، أي طوفان الأطفال طريق الخلاص:

وحشود أطفال العروبة صيحـــــة مطر من الأشبال يودق كالسحـــاب

وكأن السعلاة ونسلها الغزير كالسيل كان إيذانا بهذا الطوفان، هذا استنطاق مقتضب للمشهد الأول من عودة الهديل القصة الشعرية الرمزية المؤلفة من مشهدين، أما المشهد الثاني فيبدأ بإطلالة ذلك البطل الأسطوري العائد من رحلة غريبة طويلة جدا، وهو ما يزال على أتم شبابه وفتوته مكتسيا غلائل الاستبرق وأكسية الديباج التي تبهر العذارى فتنتها، وتصيبها بنشوة الشوق، وكأن هذا البطل

شاهد على كل العصور، إنه طيف سابح في هيولي الخلود، يحدث بكل غريبة وعجيبة، تستنطقه بطلة وهمية عن رحلة السندبادية، وهو يتمسح بعباءتها المقدسة، محيّيا إياها تحية الملوك، ثم ما يلبث أن يتناسخ بالشاعر العباسي الرقيق على ابن الجهم، وإذا هو شاب غرانق أسطوري، قد خرج لتوه من القمقم يفتح عينيه بحثا عن الرصافة معيدا إلى الأذهان أبياته الغنائية الخالدة:

عيون المها بين الرصافة والجسـر جلبن الهوى من حيـث أدري ولا أدري
خليلي ما أحلى الهـوى وأمـره وأعلمني بالحلـو منـه وبالمـر

ولعل السبب في اختيار علي ابن الجهم بالذات من أجل أنه البدوي الذي مدح الخليفة بأبيات أعرابية جافية، ولكنها حسنة، فأدرك الخليفة عبقريته رغم بداوته وأسكنه في حدائق ذات بهجة، وقصور رائعة ممردة، فرق شعره وراق طبعه فتغنى برائيته السلسة الخلابة التي اقتطفنا منها البيتين الآنفي الذكر، ولعل في ذلك إيماء إلى أن قطر شنقيط وإن كان قد تحرك في طريق التحضر بآخرة إلا أنه قادر على إدراك ما فاته بسرعة كذلك الشاعر الذكي الذي اختصر المسافة الحضارية في اقصر وقت، وهكذا نرى ابن الجهم البطل ألقا بهيا يتحد بالبطلة ويذوبان في أناشيد البوذية في «نرفانا» نشوة روحية عارمة، وبينما هما بدقات قلب زمان الوصل، في برزخ الحب اللانهائي، إذ يطل عليهما شيخ فارع القامة مكور العمامة، حسن السمت بهي الطلعة، ظاهر الشارة، فصيح اللسان حاد الجنان، إنه زهير الحب، تلك الشخصية الأسطورية التي ابتكرها شاعر اندلسي خصب الخيال وهو ابن شهيد الأندلسي (رسالة التوابع والزوابع ص 5 طبعة تونس سلسلة روائع الأدب) إنه أي زهير الحب، هاتف من هواتف العشاق، يسعفهم عند اقتضاء الحال كما قال ابن شهيد:

ووالي زهير الحب يا مي إنـه إذا ذكرته الذاكـــرات أتاها

ويكون هذا آخر مشاهد عودة الهديل وكأن من مرموزات الهديل أيضا الفردوس المفقود الأندلس، وإذا كنا قد أطلنا الاستطراد فإنما لنوضح رموز عودة الهديل، هذه الرموز التي استغلقت كثيرا على الجرائد والمجلات التي نشرت هذه القصيدة أو علقت عليها، من ذلك أن الرمز العربي المتعلق بقصة قوم صالح عليه السلام حيث تمخض الجبل عن ناقة عظيمة هي آية صالح:

عاد الهديل وأنجب الجبل العقيـــ م إلى الضياء فلا زئير ولا بغـــــــــام

هذا الرمز قد استغلق كثيرا على هذه الجرائد والمجلات، شأنه في ذلك شأن الرمز الهندي والنرفانا (وهي كما أسلفنا سكرة روحية عند متصوفي الهنود):

ونبث نرفانا الوجـود سخيـــــــة بالخصب والأشـــــــــذاء والإلهـام

وقد ترتب على استغلاق هذين الرمزين على هذه الصحف والمجلات أن صحفت لفظ: (الجبل) الذي هو : (ما علا من سطح الأرض) إلى الجيل الذي هو : (الأمة أو الجنس من الناس) وصفحت النرفانا إلى غرفتنا.

أما بقية القصائد فلم نشأ أن نطيل على القارئ بالحديث عنها، بل تركناه يستكشف بنفسه المدخل إلى دلالاتها ورموزها.

الشاعر: محمد الحافظ ولد أحمدو

القصيدة الأولى:

في حانة ابن الفارض الصورية

هل باب خدرك للعشـــاق مفتــوح؟ ... يا ربة الخدر كم تهفـــو لك الــروح
يا معرج الروح في مرقى قداستهـــا ... إذ هيكل الأرض إحســـان وتسريـح
يا جوهرا هو للممتـــــاز من مثــل ... في عالم الناس تكميـــل وتنقيـح
من كم حـوريـــة تغفـو بحجلتهـــا ... لاحت لها من سنى الخلد التلاويح*
من سكرة الورد مـن نور الضحى غردا ... بمـــا به شكـــر الغيـــث الأباطيح
من نفخ شبابة الراعي مساء نـــدى ... غمامـــه فوق بســـط الأفق مطروح
من رغوة القمر الفضـــي ثاغيـــة ... لهـــا على شعر الواحـــات تســريح
يبرعم الضـوء من بلـــور سندســه ... هذي الرؤى فالهوى طعـن وتذبيـح
من هذه المزق الألفـاق من قـــزح ... وشى الفضاء به المــزن الــدواليح[1]
أنت التي إن تهـادت من مسيرتـهـــا ... يسري بمخشوشـب الأجسـام تلقيـح
الحـب روح مطـــل من نوافذهـــا ... عن أنفس الناس بالتقديـــس ترويح
اخصوصبت من أديم الأرض سنبلـــة ... واخضل من رمة البهمـى الصحاصيح[2]

---

* هي إشارة إلى بيت الشاعر:

"شربنا على ذكر الحبيب مداومة ... سكرنا بها من قبل أن تخلق الكرم"

وكأني به يقصد نور النبي صلى الله عليه وسلم الذي سبق جميع الكائنات، والخمرة هي التدله في محبته صلى الله عليه وسلم.

الحجلة: محركة كالقبة، وموضع يزين بالثيان والستور للعروس، القاموس مادة "حجل".

1– المزق: ج. مزقة، والألفاق: ج، لفق، والدواليح: سحاب دالح: كثير الماء، مادة "دلح" والتدليح مجاوزة الحد.

2 – الصحاصيح: ج. صحصاح، الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها. اللسان مادة "صح"

وعاودت سيرها الأنهـــار جاريـــة ... منها إلى جنة الخلـــد المطاريـــــح
يا ربة الخـــدر ما خمـــر بعاتقـــة ... إن لم تناد بمـا أكننتـــم بوحـــــوا
حبابهـــا من ثنايا الصبح بسمتـــه ... وتحته الغسق الـــــوردي مذبـــوح
ما عاقرتهـــا من الأرواح مرعنـــة ... إلا ومنها خبـــئ النفـــس مفضـــوح
ولا تلامسهـــا أقـــلام شارحهـــا ... إلا وأغر بهـــا شـــرح وتـــوضيـــح
يا لمسة الساحر الموهوب، هل قـدر ... على المحبيـــن أن تغلى الجوانيح؟
يا ربة الخدر هـل وعـــد فيأملـــه ... من جفنـــه بأليم الهجـــر مقـــروح
لفح السموم سياط الحب تجلـــده ... وما على عاشق في الحـد تدليـــح
الشمس عارضـة عـــاتي أنوثتهـــا ... في وجنتيك تغني شعـــرها الشيـــح
وظبية الرمث مكحـول نواظرهـــا ... بمقلتيـــك وللشعـــر التصاديـــح
ودمية الراهـــب الغالي تحنثـــه ... له عليهـا من الترجيـــب[1] تمسيـــح
وللخزامـــى بلبتيهـــا عباقيـــة ... سفر النسيـــم بها للكـــون مفتـــوح
حبات رمل الصحاري همس وسوسة ... من شذر حليك والجنـات توشيـــح
ما جف كأس الهوى من خمر حانتها ... ولا نداممـــاك منهم تقفـــر الســـوح
ذاق ابن فارض يوما من عسيلتهـــا ... فأضرمت منه في القلـــب التباريـــح
ودرب ليسية البسطـــام ما ركضـــت ... لولا كؤوســـك في تيهائـــه الريـــح
يا ربة الخـــدر ما الحـــلاج متلـــه ... لو لم يؤانســـه من كفيـــك تلـــويح
حجتك قافيتي كالبيـت واعتمـــرت ... فحاؤها دمه كالهـــدي مسفـــوح
لا حضن يحنو على المشتاق أرأف من ... ذاك الأقاحي له البسمات تفتيـــح
يا طائر السحر المعراج صدحته ... شاقته من جنة الخلد المصابيح

---

1 – الترجيب: التقديس، التعظيم.

هل من يعير جناحا من قوادمـــــه؟ أم هل إلى الغيب تنساح المناديـــح؟
هذي تراتيل (عبد الباسط) اعتملـت بين الجوانـــح فالدنيا تسابيـــح
ونجمة الصبح إكليل الهدى ائتلقـت مرائيا هن للـــــروح الأراجيـــح
وذي المدينة منها الأطـــم حوقلـة والصبح أنفاســـه بالشكـر تبجيـح
وهذه سعفـــات النخـــل غازلهـا بالسحـرة البدر منه النور مبحـــوح
وليلها الهـــرم الملقـــي وصيتـــه للصبح من وشل الأشجار منفـــوح[1]
نادي جوانح أكمام الربيـــع ثبـي نادي المحبين بالأشواق أن فوحـوا
وانساح في قبة السبع الطبـــاق ندى من الأذان بسكـر الروح مجـــروح
مخضلة بدموع الحـــــب بسمتـــه وفي التهاويـــم منه تعرج الـــروح
يا عابر الكون أقمـــــارا محلقـــة لسمتهـا في أعالي الروح تفسيـــح
يا شارد اللب فـــي دنيا محجبـــة مجاهل الغيب للفكـــر المساريـــح
صلت عليك قوافي الشعر حبـــــرها من وشي أندلس المطراب توشيـــح
من لي بأني وهذا القلب مملكـــة من المشـــاعر تشتط التشاطيـــح
ألقي بأزميلـــه قولا مشخصـــــة منك المناقـــب فيه فهو تسنيـــح
بل عذر شعرك لم تخلـــق لذا لغـــة إن البيان بهذا الشـــأو تبريـــح
فما تطاول أعنـــان السماء بمـــا من آيه ظلعـــت فيه القرائيـــح
مسافر في فجاج الفيض موجفـــــة به المذاكي إلى حيث المرابيـــح
وعارف ملكـــوت الله مدرجـــه لحيث مرمى تناهي الغيب تطويـــح

---

1 – الوشل : الماء القليل.

القصيدة الثانية:

نهر الأناشيد

نهر الأناشيد من شبابة القمر ... خمر من المسك قد دارت على السمر
ومن شبابيك فردوس الرؤى لمعت ... كواعب الحور شلالا من الحور
وسدرة المنتهى أدنت مجانيها ... للقاطفين أعاجيبا من الثمر
يستعرض الكون مغريات زينته ... كأننا منه في أيام مؤتمر
معارض تسع الدنيا مباهجها ... لم يعش عن وهجها إلا أخو سدر[1]
جاءت لتنثر بدعا من مطارفها ... تستبضع التمر من تيه إلى هجر .. !
ما كان شيء أبي تمام محوجها ... من صخرة الشمس تدوينا على حجر
لولا التي زودتنا وهج بسمتها ... لأحوجتنا مسوح الليل للقمر
لها حنا النخل من عالي ذوائبه ... ووسوس الماء موسيقى من الغدر
تفتق الورد من صم الصخور وقد ... فاح العبير خزامى من شذا الجدر
لما تجلت أمال البحر لبته ... وشعشع الجو من صحو السما الغضر
من تحت أقدامها الزيتون معتصر ... خطواتها جنة الأعناب والخضر
شعر المياه بعينيها معلقة ... من شاطئ الأطلسي للمرفئ الطبري
والنون في البحر غنى في جدائلها ... ومد أعينه نبعا من الشرر
تحاورت أنجم الجوزا ببسمتها ... للزائرين تواشيحا من الدرر
وعوذتها صبايا الجن جاهدة ... من أعين الإنس تحريزا من النشر[2]
كما تمد ظلال الحلم زنبقها ... إلى المدى هينمات من غنى البشر

---

1 – السدر: من سدر بصره، لم يكد يبصر،أو من تحير البصر أو الدوار، اللسان مادة "سدر".

2 – النشر: ج، نشرة رقيقة يعالج بها المريض، ويقصد بها هنا المصاب بالعين، القاموس مادة "نشر".

وقلدتها بما شـــــاءت وصائفهـــا ... لفارس من جبال الشمـــس منتظـــر
مدت لها جزر المرجان مصعدهـــا ... لينقع النجـــم منها غلـــة النظـــر
جاءت تهادي ففاح الروض غاليـــة ... والقرقرير غديرا من غنا القمـــــري[1]
يا حامل الشيب تيجانا بمفرقـــــه ... قدك اتئب فلقد سوفـــت في العمـــر[2]
ظلفت نفسك أن تقتادها فأبـــــت ... واستعذبـــــت نبع عين الفتنة العكـــر
مزهوة تهبط الجـــــوزاء حاثيـــة ... تقبل الفجـــــر من كف لها عطـــــر
قد سندست رملة الصحراء همستهـــا ... وفجر الشعر مسحـــورا من الجـــــزر
قد جار لألاؤها بالمستهـــــــام بها ... منكبا غيرها بالأعيـــــن الخـــــزر
يا قلب مستهتر بالبيـــض متـــلـــه ... أنى تزكيك للمعـــراج في الطهـــر
يا حامل الشيب تيجانا بمفرقـــــه ... ما كان أحراك بعـــد الشيب بالعبـــر
أسادر كلما ماجـــــت منعمـــــة ... مجدولة القد أنهـــارا من البهـــر
فلابن ميادة أحييـــــــت سنتـــه ... في الشام بالغزل الوبري والمـــدري
وتلك آرام شنقيـــط زمرت لهـــا ... ناي "الدييجة" حتى ليس من ســـؤر
مها العراق مع ابن الجهم تطربهـــا ... من النسيب بمزمـــار من الخـــدر
حتى بأقدس أرض الله قد صدحـــت ... من طير شعرك أسراب على الشجـــر
حوائما في حمام البيت أسكرهـــا ... أشجى الهديل أفانينا من السكـــــر
أكلما طفت ذاك البيت معتمـــــرا ... كانت ظبى الحرم اجتالتك بالغيـــر[3]
فأحييت لأبي الخطـــاب سنتـــه ... ورفرف الزهو في العطفين من عمـــر
لوامة النفس بعض اللوم عذتـك أن ... تمسي مجـــاهرة بالستر فاستتـــري

---

[1] - القرقرير: هدير الحمام القمري.

[2] - التأب: ووأب منه: استحيى، والمقصود استحيى: اللسان مادة "وأب".

[3] - اجتالتك : استخفتك وذهبت بك، ومنه اجتالهم الشياطين: أي استخفتهم، مادة "جول".

القصيدة الثالثة:

حج مناسك عذرة في عينيها

على مشارف مرقى الحلم أعتـــــاب ... باب لفردوسها المسحـــور ميـــزاب[1]
ويستفيـــق على بسماتهـــا قمـــر ... مدت له من ظلال الخلد أطنـــاب
تنشق عنها كنـــوز الذكريـــات رؤى ... تصحو بها للصبـــا كرم وأعنـــاب
أكلما شعشعتك الشمـــس أغنيـــة ... أذابها من رحيق النغم زريـــاب[2]
شدت رحالي إلى أرض الهوى وحـدا ... قوافل الحج تحنـــان وتطـــراب
وزاد رحلتنـــا ما خف محملـــه ... من شعر عذرة والأصحاب أعـــراب
لو خف حمل شواطيـــه لصاحبنـــا ... من بسط موج المحيط البحر هـداب
إلى مضـــارب آباء لنا شحطـــت ... بهم نوى فبنوهـم نحن أغـــراب
كم غاص للؤلؤ العشقي غائصهـــم ... فلم يؤب قارظا عنز وقـــد آبـــوا
ميقات حجهم شعر العروبـــة كـــم ... في سحره المتناهي الحسن قد ذابوا
عيون عذرة أسطـــول يلاحقهـــم ... فبينها ومرايا النجـــم أنســـاب

---

[1] - الميزاب : قناة أو أنبوبة يصرف بها الماء. المعجم الوسيط (ج1 – 2) ص 15.

[2] - زرياب : مغن عربي قديم.

القصيدة الرابعة:

مقاطع من قصيدة "قالت وقلت"

دارت (سمـــادير) بالأقـداح حانيـــة ... فاستشعر الكبر من أقراطها الـــذهب
شدت رحال مطايا الحج بسمتهـــا ... فالأقحوان حقـــول منه تنهـــدب
مدت إلى الخلد جسرا من أضالعنـــا ... وعلمتنا الجفون السحـــر ما الأدب؟
نافورتا نهر صنهـــاج غدائرهـــا ... وتستحم على وجناتهـــا الشهـــب
قالت أنقرأ ديوان الغـــرام معـــا ... حيث النسيم أمير والهـوى طـــرب؟
قلت استديري هوانا غير مشرقـــة ... منه الأسارير هذا اليـــوم مكتئـــب
هجرتها وأغاني عـــذرة زمـــر ... قد اصطلى النار مقـــرورا به اللهـب
أصخرة أنا لا التفاح يعـــذب في ... حلقي ولا ريقها بعد الكـــرى عنـب
خريطة من رماد الموت في يدهـــا ... هي العروبـــة لا رأس ولا ذنـــب
إنا وجدك ما نامـــت مروءتنـــا ... إلا تململ من إعصـــارها الغضـــب
قد يعلم الله أنا معشـــر أنـــف ... أن ترأم الضيم في أوطانها العـــرب

القصيدة الخامسة:

"حتى إذا جربت لبنان"

يأس العروبة من أن تبلغ الأربـــــا ... وزحفها القهقرى كالممعن الهربـــا[1]
تقلص الظل من أغصان دوحتهـــــا ... وجذعها اليابس الجـــدب الذي لغبا
ويا تفكك جثمـــان الرجال كمـــا ... يشبرق الوحـــش حملا أعـــزلا إربا
ويا انفصـــال ذراع عن معاصمهـــا ... وكشطة الجلد عما يكتســـي عصبـــا
يا مشهد الذل والرعب الذي ارتعبـــا ... نحتـــا من الحزن تاريخا قد اغتصبـــا
ومكتبات بقاع البحـــــر نطمرهـــا ... وغارسا دون ماء يـــــزرع القصبـــا
صبرا وشاتيل يا رجس الخنا العجبـــا ... وعصعصا زايل المتنيـــن والعجبـــا
وعجزنا عن أصيل الحل أجمعنـــــا ... ويا اكتفانـــا معا أن نشجب الشغبـــا
ويا صلافـــــة أنياب السبـــــاع ويا ... شلو الكرامة في شـــوال أو رجبـــا
يا هدنة السلم والأرمـــاح مشرعـــة ... والمعتدي يستحث الجحفل اللجبـــا
صبرا وشاتيـــل بنزين يصـــب على ... أبـنا تميم إذا يشوونهـــــم حطبـــا
وأهل الاحزاب[2] في صبرا قد اجتمعوا ... من أجل قتل رسـول الله عند قبـــا
وإذ تقول يهـــــوذا إن دينكـــــم ... من بعدما غزت الأحـــزاب قد ذهبـا
ألم تحدث فتوح الشـــام صادقـــة ... بأن قيصـــر في ديوانـــه صلبـــا
وأنه ثم قـــد شالـــــت نعامتـــه ... وطأطأ الرأس عام الفتـــح منتحبـــا
وعسكر الروم ألقى السيف معتـــــذرا ... للمسلمين وولى الدبـــر واكتأبـــا
فمن يعيـــد لمخـــــزوم قواضبهـــا ... هل عائد خالد للشام حين صبـــــا؟

---

1 – المنصوبات المتتالية على الندبة.

وهل معين صحاري الشرق أنضبـــه ... مر السنيـــن وهل تشميرها نضبـــا
فالردة اليوم تستهـــوي مسيلمـــة ... كالديك حول سجاح ينفش الغببـــا
حرب الرهان تعـــود اليوم ثانيـــة ... وعاد من قبل عام الفيـــل منتقبـــا
يدنس العابدون العجـــل مقدسنـــا ... والسامري يناجي عجلـــه الكذبـــا
لبنان لبنـــان ما أدراك ما بـــرك ... من الدماء تسقي السهـــل والهضبـــا
لبنان عاشقـــة كانت تجـــود لنا ... كلا ببسمتهـــا أو ترهـــم الندبـــا
ونرضع الثدي منها وهي ضاحكـــة ... ونحلب الفن من أخـــلافها حلبـــا
نلهو بها ثم ندعوهـــا بفاجـــرة ... تؤوي إلى بيتها الأدنين والغـــربا
لبنان راقصة مهمـــا انثنت غصنـــا ... تفجر الشعر مـن صم الصخـــور صبا
حتى إذا جربـــت لبنان آه لهـــا ... تناذر الناس لبنانـــا كمن جـــربا
يا متجر الفكـــر ما أقسى مذلتنـــا ... يا وصمة العار للشعب الذي انشعبـــا
مهما حثثنا خيـــول الفتح ضامـــرة ... إليك نقذف من أشداقنـــا الخطبـــا
دعي الخوالف[1] أن نمشي الورى فرقا ... ونفلوهـــم ربا سينـــاء أو حلـبـــا
أتعجبـــون إذا ما أمنـــا امتنعـــت ... أن ترضع الغر من أبنائهـــا النجبـــا
وبال أطفالنا غيظـــا على صحـــف ... كانت تواعدهم أن تنهـض العربـــا
سائل بلبنان من يـــدري مكاتبهـــا ... من أين جانس فح المدفع الكتبـــا

---

[1] - الخوالف : المتخلفون عن الغزو من الرجال شبهوا بالنساء أو بأعمدة البيت وفي القرآن الكريم: (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف).

القصيدة السادسة:

"الكون سبورة والشمس طبشورة"

اقرأ فذي صحف التاريخ منشـــورة ... أرواح من غبروا فيهـــن محشـــوره
أما يـــرف إذا يفتـــر لؤلـــؤة ... – عنا فم الدهر بالإدهاش – مأشوره[1]
أما كتبنا بماء السحـــــر قصتنـــا ... فالكون سبورة والشمس طبشـــوره
ألم نكور لذي القرنيـــن عمتـــه ... ألم نضمخ بعـــــود العز كافـــوره
ألم نفجر من الإلهـــام ساقيـــة ... ومن كظائم نور الشمـس نافـــوره[2]
ألم نحجل لخيل الليـــل أرسغهـــا ... أما أفرنا من الطوفـــان تنـــوره
ألم يكن جوهـر الشورى رسالتنـــا ... والله أنزل من ذكر لنـــا نـــوره
ألم نخط من حرير الفجر مملكـــة ... كان الرشيد بها هـــارون أسطـــوره
أما كشفنا الغطـــا عن كل مخبيـــة ... أما أنرنا لعلـج الـــروم ديجـــوره
إذن قفا ودعـــــا نجدا بآبـــدة ... من القوافي على ثهـــلان محفـــوره
ثم اعذرا همت من شعري بأوديـــة ... عقصت منها شعور الحور مضفـــوره[3]
وعدت طفـلا تناغيـــه براءتـــه ... يريغ من هاجعات الطير عصفـــوره[4]

---

[1] - مأشورة : من اشر وأشر الأسنان وأشرها التحزيز الذي يكون فيها خلقه ومستعملا، اللسان، مادة "أشر".

[2] - كظائم : ج. كظيمة الأصل فيها آبار بينها مجرى، وهي استعارة.

[3] - عقصت : عقص الشعر : ضفره وليه على الرأس.

[4] - يريغ: من أراد وطلب ، القاموس مادة "روغ".

والفخر عن نسق الترتيب يشغلنـــي ... كما زهـا طيلسان الريش زنبـــوره[1]
يخضر شعري أرانينا بروض هـــوى ... أشجى بها معبد الجنـــي طنبـــوره
يغرورق الشعر ياقـــوتا بقافيتـــي ... رطبا ويعرض فـــردوس الرؤى حوره
وعن تهامة تنشق المنـــى ذكـــرا ... من الصبابة للمشتـــاق مسحـــوره
على البهاليل من قيس، ومن مضـــر ... من عهدهم غرة الأيـــام مشهـــوره
لا ترجع القهقرى كالريح خطوتهـم ... كانت لهم عاتيـات الأمـــر مقهـــوره
وما تزال بما أبقـــوه من حســـن ... أنفاس مستقرئ التاريـخ مبهـــوره
يا وارثي هؤلاء الصيد من بكـــم ... أرض العروبـــة والإســـلام معمـــوره
وشى الربيع روابينـــا بسيرتكـــم ... طيالسا بنثـــار الـــورد مـــزروره

---

1 - الزنبور: طائر قريب من النحل، وفي إشارة إلى قول عبد الرحمن بن حسان لأبيه: "لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة" فقال له : ويحك قلت الشعر.

الفصيدة السابعة:

معجزة الخليج الخارقة

هبطت كأحلام العذارى الوامقـــه ... فجرا عليك وطيـــف رؤيا صادقـــه
من ورق شطآن الخليج فـــــلألأت ... ماضي كنوز الذكريـــات الشانقـــه
فتموج البحر المحيط ظعائنـــــــا ... أحداجهـــا قبب الرؤى متساوقـــه
يلقي الخليـــج عليه من شرقيـــه ... حلل النجـــوم على مناكب ناتقـــه
فمواكب الأمـــواه شم مـــلاحم ... يخرجن أبكـــار الإبـــا وعواتقـــه
حلت حياها الذكريات فأشـــرقت ... بيض الشمائل في العهـــود السابقـــه
فرحلت من وطني إلى وطني وحـــا ... شا للمعالي أن أكـــــون مفارقـــه
فهو القميص المترف الخضل الـذي ... نسجت أثيلات النبـــوغ بنائقـــــه[1]
فتحت شباك الصبـــاح مغـــردا ... السائـــرات من القوافي الناطقـــه
بمآثر منه تـــــــرف ثغورهـــا ... وضا يرب أقاحـــــــه وشقائقـــه[2]
لما كشفت عن الكنـــوز غطاءهـــا ... ورضعت من ثدي الصفـــاء أفاوقـــه
طافت بشاشات المخيلة بارقـــــه ... الأمنيـــات قباب قطـــر الشارقـــه
تتموج الأحـــلام من شرفاتهـــا ... عنقـــــود أقمار يهـــــز مفارقـــه
وكؤوس صهبـــاء ينش حبابهـــا ... ميزاب فردوس يريـــــق أبارقـــه
يطفي زفير الشمس برد ظـــــلالـهـا ... الشمس في فيء الأصـــائل غارقـــه

---

1 - بنائقه : جمع بنيقة.

2 - يرب: يصلح وينمي.

تتخايل الأنـــوار من أبراجهـــا ... كغمامة حول المجـــــرة فارقـــه[1]
وكأن أعمدة الضيـــاء فـــوارس ... من جن عبقر تستكـــــف عمالـــه[2]
وكأن أسراب الحمام بأفقهـــــا ... ورق المنـــــادل بالغمائم عالقـــه
وطن تهدل بالسماحـــة دوحـــه ... بسمائه رفع الرخـــــاء ببارقـــه
نيطت على المجد التليد تمائـــم ... منه وقد نثر الجمـــال خوارقـــه
عبق الزمان بفوح مسك شمائـــل ... منه ومـــلأ بالثنـــاء مهارقـــه
يهمي الخليج عليه من شرقيـــه ... متخمطا كالقـــرم مد شقاشقـــه[3]
كمهب زلزلة ووقـــع صواعـــق ... أو كالمهلب إذ ينـــوش الازارقـــه
ولرب مصطخبات موج طـــاولت ... أخرى به كالغيـــث لف جوالقـــه
حلت ضفائرها تدل الشارقـــــه ... مثل العروس على المنصـــة خافقـــه
وتجمع العشاق عند زفافهـــــا ... كل يحل عن القريـــض مناطقـــه
ورقى على التو باد قيس منشـــدا ... واستقبلت ليلى الحبيب معانقـــــه

---

[1] - فارقة : ناقة فارق أخذها المخاض فندت في الأرض . القاموس مادة "فرق".

[2] - تستكف : استكف وضع كفه على عينيه في الشمس ينظر هل يرى شيئا. اللسان مادة "كف".

[3] - متخمطا : تخمط الفحل هدر (اللسان مادة "خمط"، شقاشق: جمع شقشقة.

القصيدة الثامنة:

بذرة الجرب

من بذرة الجرب المطلي بالقـــرف ... ولدت ذاكرة تنمـــو من الأســـف[1]
ومقطعا مقشعـــــرا من معلقـــــة ... تلوثه غدد المستعمـــــــر النكـــف
تمورت شحن التفجير في قنـــــوا ... تي فاكفهرت شآبيبـــا من السعـــف
يبرعم الضوء أوراقي ويضفـــــرها ... جدائلا من نسيج الخلد في صحـــف
ومنجلا يحصد التاريـــــخ سنبلـــة ... من العبير تحدت صفـــرة العجـــف
مسافر في غلو الشطح طفرة عصـــ ... ـر أخضر اللون مشبوب الرؤى غضف[2]
في جبتي تمطى الضاد ناسخـــــة ... روحي، كلانا من الأشواق في شغـــف
تناسلت عبر التاريخ في طرقـــــي ... تسري الغضارة في الصلصال والخـزف
أفجر الأرض ينبـــــوعا مكهربـــة ... أوداجه وأحيل الصخر من علـــــف
وأصلب الغول، إن الغول شعـــوذة ... من الصقيع تناغي النـــاس بالتـــرف
تسوغ البغي تعطـــي للفقير عقـــا ... قيرا من السل، تغري المرء بالصـدف[3]
إن النخاسة جرح مؤلم عـــــرض ... ـي ملأ البحر والأرضين بالجيـــــف

---

1 - القرف: قشر الشجرة ولحاؤها، وقرف الشجرة : تحت قرفها، ويقال للجرح إذا تقشر، تقرف، وهو المقصود هنا، قشر الجروح وجلوبه مع استحضار الدلالة للاستعمال العامي عند المشرق، وهو الاستقذار والتأفف من الشيء.

2 - غضف : عيش أغضف وغاضف واسع ناعم، رغد بين الغضف، اللسان مادة "غضف".

3 - الصدف: جمع صدفة، والأصل صادف مصادفة، وبالرغم من أن "فعلة" قد تأتي من الرباعي كـ"قبلة" إلا أن الظاهر أنها لهجة مشرقية، وهو ما أو ما إليه المنجد.

رسالة الكون أن تخضل أوديـــــة ويزرع الشعر والزيتـــــون في كنـــف
وتسرح الخيل زيد الخيل علمنـــي أن الصهيل دواء النقـــرس الخـــرف
وكان بعد صلاح الدين واعـــــدني بالنصر ما دمت أمشي غير منحـــــرف
وطارق يوم ناجى الأطلـــسي بشهـ ـب الخيل أودعني مأثورة الشـــــرف
أولئك القـــــوم آبائي بحسهـــــم استنشق الخصب في روضاته الأنـــف

القصيدة التاسعة:

والعاديات ضبحا في يوم ذي قار*

أديري علينا الراح والخرد العربـــــا ... ولا تنكئي قرحا فييجـــع من جـربا
أديري علينا الراح والفرح العـــــذبا ... فعامر من سكر العـــــلا لاعب القضبـا
أديري علينا الراح واعتلجي حبـــــا ... قهرت بهذا اليوم –لا تبعدي– الخطبا
أديري علينا الـــــراح انقعت غلـــة ... وفرجت من ترتيقها السجـف والحجبا
طلعت مع الخضـــــراء يمنا ونعمـــة ... وكم لك طلعات مع السنـــة الجدبـــا
تدبين كالإيمان كاليمن كالمنـــــــى ... كحب بأحشا معصر طفلـــــــة دبـــا
كتمثال شعـــر من قصائـــد عنتـــر ... توشين فردوسا له الحشـو والضـــربا
تميرين في السبع الشعـــــاث أهاليـــا ... ويزداد منك الصاع والرطـــل إردبـــا
أديري علينا الـــراح لذت دهاقهـــا ... ومن قبل عشرين غصصنـــا بها شـــربا
أريشي جناح الفكـــــر يا أم نـــوفل ... بغامك يندي من قريحتـــي الشهبـــا[1]
أيا شهر زاد الدهـــــــر أين منبـــــه ... وما ألهم القصاص –من مطرف– وهبـــا[2]
إذا ما نظرت اعشوشب الصخر داخلي ... وأبقلت الصحراء في خاطري كتبـــا
فلا تعتبي استطردت في الشعر جـاريا ... على إثر أسلاف ســراة، لك العتبـــى
وفي الكحل من عينيك خارطة العـلا ... تهجيت في ألوانها تغلـــــب الغلبـــا

---

* ألقيت بمناسبة الذكرى العشرين لعيد الاستقلال الوطني ونالت جائزة الإذاعة الوطنية.

1 - أريشي: من أراش جناحه أنبتت له ريشا، البغام: صوت الظبى ، اللسان مادة "بغم".

2 - منبه : وهو والد وهب بن منبه الذي اشتهر بقصصه الإسرائيلي في الكتب الإسلامية القديمة.

قوافي هذيل هن ألطاف حكمـــــة ... بعيدك ذا تيهي بها لؤلـــؤا رطبـــا[1]
تجلت أماليدا مزعـــن مع الضحـــى ... تناجي بها تشريـــن فارسها الشطبـــا[2]
أيا مدلجا في الخلد تمخر بحـــــره ... نشر فتاء العمـــــر لم تفتأ الطبـــــا
أتبلى ثيات الحكم، والمارد الفتـــى ... يظل يجر الذيل منتشيـــــا عجبـــا
كذلك أمجاد الشعـــــوب عصيـــة ... على الدهر لا تبلى ولا تعـرف الشيبـا
وأنت يقين الشعب إيمـــــــان أمة ... على ديدبان الدهـــر مزقت الـــريبا
تحج كمثل الأوليـــاء مع المســـا ... وترجع قبل الفجر تختـــرق الحجبـا
تعود إلينا حامـــــــلا عطر مكـــة ... وتحمل – والتمر الشفـــاء بها – طيبـا
أما والضحى والعاديات به سربـــــا ... بذي قارها ضبحا عدت تحفر الـــدربا
لقد قرت العينـــــان من أم نوفـــل ... غداة "محمد المامي" صوت الهدى لبى
أديري علينا الراح ما حي مـــــازن ... خلوف بل الوادي جـــرى بهم غبـــا[3]
ولا عروة الصعلوك يخشى مصالـــــه ... مع الليل "ديلول" فيرتكـب السقبـا[4]
ولا عير "نفر" المذهل الناس أمرهـــا ... تؤوب فيستخذون إن عاينـــوا القحبا
على تامك الكوماء فاركب مبجـــــلا ... على هضبة الجـــولان من بعد ما جبا
هي النجب أمثال الشعوب صـــــوابر ... وكم انضت الأيام في سيرهـــا نجبـــا
أديري علينا الراح والفن والحبـــــا ... فطمي حضارات النبـــوغ سقى الحبا
فرفت جنان الفكر فينانة الخطـــــا ... على إثر ضافي الذيل يعتادها غبـــــا

---

1 - الألطاف : الهدايا

2 - مزعن: مزعت الخيل اشتد سيرها، اللسان مادة "مزع"، الشطب: الطويل.

3 - حي خلوف: بضم الخاء أي رجاله غيب في غارة أو نحوها، ولم يبق فيه إلا النساء. جرى النهر غبا: إذا فاض ماؤه على الساحل، واستعير للوادي.

4 - السقب : ولد الناقة الصغير.

أتتك جموع الغاصبيـــــن مغيـــرة ... فقطرت من أحشائها – أمنا – الحــوبا
وأرجعت أســـراب العدو حسيـــرة ... وأرسلت في آثارها – زاحفا – ســربا
هنيئا لسيف الدولـــة اليوم منظـــر ... "لقيصر" يشفي النفس قد نشق السهبا
هنيئا لشنقيط لقد أرضـــت الربـــا ... حدتنا إلى الجوزاء تحتثنا ركبـــا
فإن كنت قد جرعت أعياد علقـــم ... ليهنك هذا العيد فلتشربي العذبـــا

القصيدة العاشرة:

"عودة الهديل"*

هتفت تغنيه مطوقـــــة الحمـــام ... ذكرى شباب كان مخضـــل الثمـــام
والريح تضرم في الرمال فحيحهـــا ... والليل يأكل أدردا شجـــر الظـــلام
وتداخلت في ذهنها مـــزق الـــرؤى ... كانت رقوبا ثكلهـــا قبل التمـــام[1]
ناجتـــه في أوب القطيـــع ربابـــة ... في ثغو مغزلـــة مقطعـــة البغـــام
عنقود أنغـــام ترقـــص عطفـــه ... مقل الصبايا الصائبات من السهـــام
أو عاشقـــا وهنا تحيـــن غـــادة ... وكر السباع بفجهـا وصـدى الهـوام
نجما تـــلألأ في سمـــاء ظنونهـا ... فجرا تربت كفه بـــذرى الإكـــام
وعدا بظهر الغيب مغلـــول الخطـــا ... حلما بجفن المستحيـــل إذا ينـــام
وغوائل الأشبـــاح مسرح روحـــه ... يرعى بروض الوهم في حزق النعـام[2]
في ذلك التيه الخصيـــب مروجـــه ... بوهـاد "برمودا" مع الغيلان عـــام[3]

* * * ... * * *

وتهادت الرعبـــوب نهر أنوثـــة ... حتى الظلام يبثها شكوى الغـــرام
حبك السما كانت مدارج خطـــوها ... من جنة الفردوس تهبط كل عـــام

---

* قصيدة رمزية تتحدث من خلال الأسطورة والرمز عن هموم الأمة العربية.

1 - الرقوب التي تفقد ولدها دائما.

2 - الحزق : جمع حزقة أسراب النعام وقطعانه.

3 - الوهاد : جمع وهد المطمئن من الأرض، ومثلث برمودا: هو رقعة مائية معروفة لا ينجو عابرها.

كلماتها إنجيـــــل حب منـــزل ... وجفونها الحوراء تذبـح كالحســام
والجيد جـــدول مرمر من خلفـــه ... حقل من الرمـــان في صدر حــرام
والخصر كان جزيـــرة من لؤلـــؤ ... أسطورة فيها الهـــوى كان الإمــام
كانت أنوثتهـــا بيـــارق* نصـــرنا ... كالنفط، كانت ثـروة، كانت ســلام
كانت من الزيتـون آخـــر دوحـــة ... في غزة والقـــدس، زوجا من حمـام
كانت مـــدللة فمـــــرت فـــأرة ... تتقمص السعـــلاة مثقلـــة القيـــام[1]
قالت لها: إما تحســـي الطلـــق فالـ ... ـتمسي بهذا البيت قابلـــة الغـــلام
وعلى جدار الصمـت نبأة فـــارس: ... مولاتي السعـلاة تقرئـــك الســلام
تستنجز الوعد الـــــذي أعطيتهـــا ... فاستقبلت مثل الـــدبا النسل الفئـام
ورأت هنا الرعبـــوب برعم أختهـــــا ... في صبية الجنـــان في قزع الغمـام[2]
في كفـــه حجر سيهـــــزم عصبـــة ... تدعى بني صهيون يظهـر في الشـام
وأفـاقت الرعبـــوب من إغمائهـــــا ... قد أبصرت شبل الحجارة في المنـام

* * *

كانت تغنيـــه بشقشقـــــة الطيـــور ... وبكل عين في الصحـــاري لا تغـور
من ألف ألف وهي راهبة المســا ... أو فاقها وطقوسها وشـــذا البخـور[3]
والغائب المنظـــور هاجس نفسهـــا ... في مدخل السرداب تنبش في الصخور
والطوطم الهنـــــدي نبع هيامـهـــا ... ألوى بها البحث الصبور فلا تخـــور[4]

---

* البيرق : الراية تركيبة معربة.

1 – السعلاة : أنثى الجن.

2 – القزع : جمع قزعة، السحاب المتفرق.

3 – الأوفاق : علم من أسرار الحروف والعزائم.

4 – الطوطم: مصطلح هندي مؤداه أنه إذا مات رئيس القبيلة تحل روحه في جسم حيوان ما، من عقائد بوذية.

ذاك الذي بهديره يبكي الحمـــــام ... وبذكره السمار تسكر كالمـــــدام
في كل ساقية تجـــــف ضروعهـــا ... في كل أطلال الخرابات النيـــــام
خطفته أيدي الجـن وردة نرجـس ... لما طغى الطوفان من قدم فهـــام
مهما تغر خيـــل به هتفت: عصـــام ... أخرج من السرداب أمك في فصـــام
دخل اليهود بيوتنـــا وتقاسمـــــوا ... أقراطنـا وبنـــو أبينـــا في خصـــام

* * * ... * * *

وأنا هنا، وأبو رشا، الشيخ الضعيـــف ... ورشا، أتذكر ذلك الحب العفيـــف؟
في غـــــزة، وحقولنـــــا منهوبـــة ... وخيولنا، والحي يا ولدي خلـــوف
شذاذ شـــرذمة تقاســـم أرضنـــــا ... كم نحن تدري؟ نحن آلاف الألـــوف!
والزيت في قـــعر الصحـــــاري آسن ... هل نحن حقـــا يعرب شم الأنـــوف؟
أخت (السدا) بنت الزنا تغـــري بنا ... ذئب اليهود فهو مسعـــــور العرام[1]
قلنا لهـــم: هذا الســـلام، وهـــــذه ... تلويحة الزيتـــون، قالوا: لا ســـــلام

* * * ... * * *

لكن في شنقيط فاتحة الكتـــــاب ... وإلى فلسطين العـــلا حان الإيـــاب
وحشود أطفال العروبـــــة صيحـــة ... مطر من الأشبال يودق كالسحـــاب

---

[1] - العرام : الشدة والقوة والشراسة، اللسان مادة "عرم".

عاد الهديل وأنجب الجبـــــل العقيـ ـم إلى الضياء فلا زئير ولا بغـــــام
الناس قد قرضوا الأظافر واستجـــــا شوا نخوة الأوطان والهمـــم العظـام
ومشاتل الثـــارات أورق عـــــودها والمارد الشلال يختـــــرق الإكـــام
إطلالة الفجـــــر الوليـــد تمـــور بي من نشوة الأفراح ينبض في العظـام
* * * * * *

فزعت عن قلبي الجريح متى اهتديت؟ طال الغياب فشخت بعدك بل ذويت..
لم لا أرى أثر القـــرون عليـــك آ ه أكنت تبحر في الخلود متى رسوت؟
من أي وهـــم حالـم نسجت غـــلا ئلك التي خلبت فؤادي فانتشيـت؟
أقصص علي عجائـب الدنيا وحـد ث عن تميم الدار فيمـن قد لقيـت
وقلوب عذرة كيف مزقها الجـــوى وهواجر الصحراء والنعـم الســوام
والسندباد وعالم البحـــــــر المهـو ل وكيف ينجو المبحرون من الهـوام
أو ما يزال النون منهـــومـــا؟ أيـــز درد الغواني والنبيئيـــن الكـرام
* * * * * *

ويعربد الشيطـــان يثني عطفـــــه تيها ينرفز* بالنكـــات الساخـرات
فتضج أصـــداء الجنائـــز بالغطـــيـ ـط كأنها أشباح عبقـــــر معصـرات
* * * * * *

ما أعذب السفر الطويل إلى المـدى أين الكفوف؟ وأين إطباق الظـــلام
ودمى الحرير؟ ولثغة الأقـــراط؟ والـ ـحناء والخلخال والكتل الضخـام؟
ويطل من خـــلل الستائـر طـــارق يومي إليها بالتحيـــــــة والســلام

---

* ينرفز : يغتاظ ويحتد: والنرفزة من الدخيل المعرب.

في عينك النجـــلا، أقدّس معبـــدا ... وبثغرك الألمى سكرت من الصبـــا
وبما عجزت فلســـت أدري كنهـــه ... وبخدك الوردي عذبني الجـــوى
رفقا أبيت اللعـــن أنـت مليكـــة ... ملك الجمال أعز من ملك الـــورى

* * * ... * * *

أين الرصافة أين أســراب المهـــا ... القاصرات الطرف تلك الناعمـــات
أقبلت يا ابن الجهم في أسرابهـــا ... غزلا عيونك في المباهج حائـــرات
ترتاد في شنقيط حاضـــرة العـــلا ... من منبع الإلهـــام وحي الآبـــدات
ما تشتهيه النفـــس من حور الظبـــا ... فاخلد بذا الفردوس بين الخالـدات

* * * ... * * *

يا أيها الألـــــق البهي تعـــال نتـ ... ـحد اتحاد الـــــروح بالأجســـام
ونبث نرفانـــا الوجـــود سخيـــة ... بالخصب والأشـــــذاء والإلهـام
الكون نخلتنـــا نهيـــم بظلهـــا ... عشقا ونقطـــف يانع الأكمـــام
الحب ريحـــان الصبـــاح تفتقـــت ... أزهاره وتضوعـــت في الكائنـات
وإذا زهير الحـب حـــل ببقعـــة ... كان الربيع ظلالهـــا المتمـوجات

القصيدة الحادية عشرة:

بطاقة دعوة إلى أبي حيان التوحيدي*

أقبل على الرحب عم يا شاحط الـدار ... مدمدما فوق ريـــح ذات إعصـــــار
إني أحسك هفهافـــا على رئتـــــي ... بردا من الثلج أو لفحـا من النـــــار[1]
اقرأ بربـك ما دونـــت من ســـدم ... تطفو على الشمس عصرا بعد إعصـار[2]
اقـــرأ كتابـــك للدنيـــا فإن به ... تململ القهـــــر في عيني سنمـــار
إني أحسك كابوســـا يطوقنـــــي ... كبسمة الغول إن حنـت إلى الثـــأر
يا تائه اللب في دنيـــا محجبـــــة ... يا شارد العقل في مشتـــط أفكـــار
اقرأ بنقطـــة باء الغيب يا قـــــاري ... فيك امحيت رؤى مخضل أشعـــــار
واثقب من العالم السفلي جلدتـــه ... واصعد إلى العالم العلـــوي يـــا زار
فكك مركبة التكويـــــن ثاويـــة ... منها الســـــواري على أوتاد فخـــار
مزقت سفـــرك فلتنسئـــــه ثانيـــة ... واسكب تعاشيـــب جنات وأنهـــار
واعصر من الخلد كرما قرقفا غدقـــا ... كناشئ الحلم أو تهويـــم أزهـــار
مزمارك الشمس كالنشوى مطوحـــة ... في مدرج اللاتناهـي عبر أسفـــــار
وجوقك الجن والأطباق طائـــرة ... تجاذب الشمس مزمـــارا بمزمـــار
مخلدا بشنوف الوهم ممتطيـــــا ... طرفا من الليل مثل الكوكب الساري[3]
أقراطك الأمل المشبـــوب راقصـــة ... منه العـــذارى، وقد غنت لسمـــار
وفكرك الشامخ الجبـــار منتصـــب ... ملء الحياتين لم يخنـــع لجبـــار

---

* نشرت القصيدة في معجم البابطين المجلد الرابع ص 1996.

[1] - هفهافا : ظل هفهاف، بارد ، اللسان مادة "هف".

[2] - السديم : بقع سحابية متوهجة مغيمة في الفضاء ناشئة من اصطدام أجرام سماوية، أو تكاثفها.

[3] - مخلدا : مقرطا ومشنفا.

اسلك ممر سنين الضوء منجـــردا ... وادرج بليسية البسطامي يـــا حـــار
أطواقك الخلد وهـــــاج سبائكـــه ... والـــــلازورد أكاليـــل من الغـــــار
إني تناسخت في عينيك ثانيـــة ... سعيا على جرف من حظك الهـــاري
يدعونني القطب بهو الشمس دائرتي ... وقبلهـــــا كنت أدعى سارق النـــار
إني أوشح بالحنـــــــا حقولهـــم ... وأودق الفجر من توكاف أمطـــارى
وأمسك الماء والنيـــران ذين معـــا ... وأعصر الخمـــــــر من نار وأنـــوار
تطلسمت فيك رؤيـــا الأولياء فمـــا ... تفضـــي باســـــرارها إلا لأســـرار
تذوي القناديل في عينيك شاحبـــة ... كيما تنير ضريح النـــــازح الـــدار
لولا أغاني حشاشات الوجود وقـــد ... دبت بهن حميا خمـــرة العـــــار[1]
كشفتها من إزار الشمـــس من حبـــك ... من السماوات ذات القرقف الجـــاري
إذن لأطعمت نار الحقد ما كتبـــت ... يدي، "ونطيت" للفيران كالفـــــار[2]
وا لوعة الحبر قد خيطت جوانحـــه ... على دماميل من كبت وإنكـــــــار!
من قصة الحرف، من إحباط لعنتـــه ... كمثلما سخرت أفـــلام "غـــــوار"[3]
تكسرت من نصال الشك غابتها ... في خافقيك كما تخـــــراز أبـــــار[4]
تمصر المـــــدن الفضلى خرائطهـــا ... حلم النبـــوغ، مدى إغراب الأطوار (//)
وفيك قد نفش الطعـــــان أي غبـــا ... هذا وسعي مهيض الرأي خـــــــوار

---

1 - حشاشة : بقية النفس.

2 - النط :الشد/ونط الشيء مده، وهي هنا كلمة عامية ذات اصل عربي، والنطانط: جمع نطناط الطويل، وهي في العامية بمعنى القفز، وهو توسع في الاستعمال.

3 - غواري الطوشي: لقب اشتهر به أحد الممثلين السوريين.

4 - قال ابن فارس قال الخليل الإبرة معروفة وبائعها أبار وهو المقصود بالبيت، ج1، ص35.

(//) - لابد من تسهيل الهمزة في لفظ الأطوار ليستقيم الوزن.

مهلا ولطفا أبا حيـــان يا أبتـــــي ... مأساة عقلك قد غاصت بأغـــواري
مدائن الملـــح في نفسيَ مشرعـــة ... للاتوقع والطـــوفان تيـــــاري
مقرفص في فجـاج التيه كبلنـــــي ... ذلي وقهري وإبلاسي وإعســـــاري[1]
تخور في راحتيك النائبـــات كما ... ضلت يهوذا بوهم العجل خـــــوار
أيحتسي السم سقراط وتقحمهـــــا ... سعيا بزندك عاري المنكـب الـــواري
تؤبر النخل في الجـــوزاء مشربهـــا ... خضر الحقائق من مسكي أفكـــــار
ضلوا بعقلك لم تبـــرح مدائنـــه ... عزيـــزة ما تني أبكـــار أســـوار
وقد كسوك مسوح الصـــوف آونـــة ... وألحقـــوك بضـــلال وفجـــار
وأنت أنت أماليـــد مطوحـــة ... إمتاع مقوين أو إينـــاس أسمـــار
لولا مآسيك لم نعـــرج إلى فلـــك ... الافلاك(د*) من تحته حافات صنـــار
يا طائرا من شواهين النبوغ هـــوى ... من حالق نازعا شوقـــا لأوكـــار
فكفكفته مآتي الحـــرف عاليـــة ... لا تبعدن رعاك اللـــه من جـــار
الروح منك الطباق السبع منشـــؤه ... إن الضباب نزوعـــات لأوجـار
ها أنت للرملة الوعساء مختـــرق ... قرصا من الشمس أو مخضل أشجـــار
عـد عـد إلينا فإن المومیا مزقـــت ... والشعر بعدك أشـــلاء بمنقـــار

---

1 - مقرفص: جالس القرفصاء، الإبلاس: أبلس الرجل: قطع به، اللسان مادة "بلس".

(د*) - لابد من تسهيل همزة الأفلاك هنا من أجل الوزن.

القصيدة الثانية عشرة:

مقاطع من قصيدة "قراءة في أسطول طارق بن زياد"*

وأشرعة في البحر اشرع طـــــارق ... بنود الهدى يزهـــي سفائنها النصـر
سلوا طارقا عن حكمة البحـــــر إنه ... تعلم منه البحـــــر أن يزبد البحـــر
على تامك الآذي فاركب مبجـــلا ... على ذات الألـواح تماتينها دســـر
فلو أن بعد البحر بحرا لخضتـــــه ... ولو أن بعد القفـر قفرا دنا القفـــر
أيا طارق من أين هماتـــــك التي ... تطامن من صولاتها المد والجزر[1]
متى رضت موج البحر حتى تخيست ... عرائكه واستوطأ الأصعب الظهـــر[2]
من البحر من أهوال موقف موجـــه ... وزلزلـــة التنيـــن لاح لك البشـــر
فكسرت ألواح السفائـــن هكـــذا ... وصحت بهم ضرغامـــة قلبه صقـــر
أمامكم البحر المحيط مدمـــــدم ... ومن خلفكم أعداؤكم حيث لا حـــذر
فلم يبق إلا أن تتـــوق لخلـــدها ... نفوس فتزكي ويكتمـــــل الطهـــر
وأسماك مرجان تـــــلألأن باقـــة ... من النور مكتـــــوبا بأعينها الشـــزر
تدول حضارات وتخلف أختهـــــا ... حضارات أقوام ويلتفـــت الـدهر
وأنت كما أنت احتداما ومـــــرة ... وداخلك الدنيا يثـــــورها المـــور
وتذبل موجات ويخفت جرسهـــــا ... ويهوي إلى أخـــــرى بثانية حـدر
ولكنها تهتاج منصوبـــة الطلـــى ... كما اهتاج هدرا في تخمطه البكـــر
كذلك موجات الحضـارات مـا تني ... تصارع والأحشاء يسكنها الـــــــدر

---

* ألقيت بمناسبة مرور خمسة عشر قرنا على الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

1 - تطامن : طامن ظهره إذا أحنى ظهره، والمقصود استكان.

2 – تخيست : ذلت وارتاضت، عرائكه: جمع عريكة، والعريكة الخلق يقال هو: سلس العريكة.

وتنطمر الأحياء في القعر تـــــارة ... وينقص من أطـــراف بحر به كـــــر
ويطفو من الأسطـــــول لوح مكسـر ... ونصل كقـــرن التيس قامتـــــه شبر
ويطمر في عقر الثرى الزيت آسنـــــا ... وشعب على الصحـراء يلهـــث معتر
وفي داخل البحر الذي نحن بعضـه ... حضارات أقـــــوام تضمنها قبـــر
كأنك من بطحـــــاء مكة ناظـــر ... بمجهر غيب الـــروح ما خبأ العمـر
ففي الغرب قوضت الطواغيت جاهدا ... وبؤرة ضوء الشرق أنـــوارها غمـــر
تهجيت في أسطـولك النصر ثانيـــا ... ووجه صلاح الدين بالنقـــع مغبـــر
معا في دروب النصر ألف تكتبـــت[1] ... إلى الله أنضاء ملايينهـــا الزهـــر
تداعت علينا الكاسرات ونحـــن في ... بلهنية الأغرار ليـــــس لنا حجـــر
تململت من قهري وأوقدت غـربتي ... ومن نخوة الجرح اقشعر بي الكبـــر
ومن وحدتي استلأمت ألفا ونصفهـا ... وعاودني صوتي يبحبحـــه القهـــر
أضأت قناديل انشطـــار خرائطـي ... ففز قطار الليل أرعـــــده القـــــر
على مدخل الرؤيا التوقع رابطـت ... كمثل نشيج الريح في الأفق النـــذر
وفي نبتة العشب التي أخلف الحيـــا ... رباها بها اليخضـــــور ثمة مصفـــر
وفي نقرس الأخشاب في مدخل الخطى ... تسامق سعف النخل والأرز والســـدر
وفي الرف كان القرطبي محـــدثي ... ومئذنة الزهراء في أذنهـــا وقـــر
أقص على القدس الشريف حديثهـا ... فيزفر غيظا من يراعتـــي الحبـــر
تذكرت تصهال الخيـــــول ورايـة ... ظهير أهاليها الملائكـــــة الغـــر
"أقرطبة الغـــــراء هل لي أوبـة"؟ ... وهل في جنان القدس ينفحني الزهر
تسربلت آهاتي وأوقـــــدت دملـي ... شموعا لكل الحائرين ولم يـــــدروا

---

[1] – تكتبت: الكتائب أي صارت كتائب.

وأركضت كل الصافنـــان ضوابحـــا ... فطوقني حتى بـــــداخلي الغـــدر
وأصعقني أن الســـلاحف من عـــــدا ... تأمسحن والأهلون تغلي بهم قـــــدر
فعدت إلى التاريـــخ أطلب عنـــــده ... عزاء لعل النجـــــــــر يتبعه النجـــر
نفخت بصوري في موات خـــرائطي ... فمن ظلمة الأجـــداث يفتضها النشـر
وفي غابة النسل الخـــــلاسى راعني ... هلال بني صهيـــــون أنيابها جمـــر
ومن فوق شط العرب كابـوس فتنـــــة ... فيا أمتى الفضلى متى ينتهي العهـــر؟
وأسرجت صوتي وامتطيت جيـــــاده ... فضضت سحاء الشمس فانبجس العطر [1]
تشيأت في الذكرى تبرعمت كالمنـــى ... عثا كل قنوان يغازلهـــــــا البســـر [2]
مروج وأسراب الأيائـــــــــل بينهـــا ... وكالسندس الصحراء يكفحها القطـــر [3]

---

1 – السحاء : جلدة تجعل على الرسالة بمنزلة الظرف البريدي الآن.

2 – تشيأت : أي صرت شيئا، وهو تعبير فلسفي، من صياغة الشاعر.

3 – الآيائل: جمع أيل: أنثى تيس الجبل، يكفحها: يقبلها وفي الحديث: "إني لأكفحها وأنا صائم".

القصيدة الثالثة عشرة:

كابوس الخريف

بين ذكـــر مضى وذكر المـــآل ... أمس عبر المريـــخ فوق الخيـــال
في ينابيع الأمن في شحنة الهـــو ... ل وشيب الجـــراح في الأوصـــال
في سراديب الليل بين الديـــاجي ... في بيوتات الجـــن عند السعـــالي
عربدت فكرتي ببحـــر مثـــالي ... باحثـا عن كنوز وحـــي الجمـــال
فسألت المساء عنـــد الثـــريا ... وغدا جالســـا بجنـــب المحـــال
ما الذي راقني من الصيف عجبـــا ... صبغة الأرض أم شبـــاب الـــزوال؟
أم دلال الأغصان، رقص الشحاريـــ ... ـر لتمثيل الفن في الأطـــــلال؟

أم قدود الميـــاه خف حشـــاها ... وتعالت أردافهـــــا كالبنـــــاء ؟
والغدير الفضي يضحـــك جـــذلا ... ن مدلا كالغـــــادة الحسنـــاء ؟
ورؤوس الربى تجافى الكـــلا عن ... مفرقيهـــا كالهامـــة الصلعـــاء ؟
هرم الحقل في ربيـــع شبـــاب ... يرفل الحظ فوقـــه باختيـــال؟
نبضة الكون في دم الليل تســـري ... خمرة الطل بالمعيـــن الـــزلال ؟
همسة الروح في قميص الـــدآدي ... برموز تجنحـــــت كالظـــلال ؟
شف معنى الحياة فيها فســـالت ... جوهرا دافق السنـــى والسنـــاء
سرحا الفكر برهـــــة ثم قـــالا: ... عند بنت الخريف صدق المقـــال..!

---

* هذه القصيدة من البواكير كتبتها سنة 1973 وإنما أثبتها هنا لأنها تمثل طورا فكريا لي أيام اليفوعة، وهي على علاتها كانت تعد بذلك الاستعداد القصصي في الشعر الذي أخذ شكله المتطور في (عودة الهديل).

قلت: من أنت؟ هل تخاف الشياطيـ ـن؟ أنا؟ بل وضحكة العنقـــــاء..!
بهلوان؟ تريـــد فك رمـــوزي؟ أنا كنه المحجـــب المستـــور .. !
أنا إيزيس هـات صل لقدســي .. ! أنا حرز من عالـــم مسحـــور ..!
إن وعيي سجين حسي وحـــدسي في حجاب عن كنه ستر القضـــاء ..!
أنا لم أعبـر المغيـــب حتـــى يتراءى لي منطـــق الأشيـــاء..!

نسمة الفجر عبر فيض الأمـــاني أرجت من شذاك كل مكـــان ..!
وأرتني في المـاء سرا خفيـــا فيه لطف من جسمك الريـــان ..!

فكرت ثم حدقـــت بعيـــون ينطق السحر بينهـــا بالضيـــاء ..!
وتعالت في الأفق منها شظايـــا شحنات من كهربـــا الشعـــراء..!
قلت: هل تذكرين أين جـــدودي قذفتهم عواصـــف الدأمـــاء ..!
قهقهت ثم فكرت ثم قالـــت: تضحك الشمس من كلام هـــراء ..!
قلت: أطرفتني أللشمـــس ثغـــر ودلال كمثل بعـــض النســـاء؟
أغربت في سرورها ثم قالـــت: إنكم تمعنـــون في الإغـــراء..!
آنست ضيق قلبه ثـــم قالـــت: المزاح الطريـــف أس الصفـــاء..!
قلت: طبعا تروين شيئا طريفـــا عن مصير الأولى مضـــوا للبقـــاء؟
هل ركبت الهباء يومـــا لترسـي سفن الحب في محيط الخـــواء؟
هل رأيت السماء ليـــلا تصلـــي في خشوع ورقـــة ودعـــاء؟
زدت في حيرتي وزدت عـــذابي خففي من ضباب هذا الشقـــاء:
نظرة من سريرة الغيب تـــردي بعروقي في داخـــل الأحشـــاء..!
صورة الطيف من بدائع شتـــى نقطة من طلاســـم الأوليـــاء..!
فتجلـــت في كل نور وعطـــر وظلام كالسرمـــد المتنائـــي..!

فلنكن في ضيافة النجم ساعا ... وتعالي نمضي لمحق الفناء ..!
أطرقت في تأمل نصف وقت ... ثم قالت: خريطة من فضاء..!
قلت: عفوا بنت الخريف أتهذي ... ـن أجابت بعينها النجلاء..!
هل تعمقت في بطون المعاني؟ ... وغضون التاريخ ذات الطواء؟
وبساتين اللاوجود ومينا ... زورق الحلم، حلم هذا الشتاء؟
إي.. بلى ذلك الهوى فلنردد ... نغمة الحب فهي بنت اللقاء..!

سخرت ثم فكرت ثم قالت: ... أنت صيد للحب، جرح الولوع!
حددي لي معنى الغرام إذن هل ... هو ركض الأعصاب وثب الضلوع
أهيام؟ تعطل فسلجي ... طارئ في وظائف الأعضاء؟
أم حنين إلى اتحاد ومزج ... يتقفاه مجمع الأحياء؟
دوران المخيخ في أم رأسي؟ ... جريان النجيع في أسلاكي؟
وأعاصير الشك تقذف بي في ... هوة اللا إدراك في الأشواك؟*
أطبقت جفنها وأدنت عليها ... من رداء الحياء فضل الرداء..!
نغمي لي هذي المقاطع نغما ... عربيا معطر الأنداء:
أسفري لي عن ثغرك اللألاء ... في ثناياك أشتفي من دائي
قهقهي لي يا قرة العين كيما ... اشرب الضوء من بروق الرجاء..!
أسفري لي عن ليلك الجثل كيما ... أفهم اللغز من دجى الظلماء..!
أحسري لي عن جسمك البض كيما ... أدرك السر في خرير الماء..!
صافح الأنف نسمة الصيف منها ... وتوارت في القبة الزرقاء..!
نسقت شعرها وقالت وداعا ... خفف السير في ضريح العلاء..!

* الشك هنا هو شك المحب في إخلاص الحبيب.

القصيدة الخامسة عشرة:

مرافئ الأحلام

لنا من تراث العاشقيـــن قلـــوب ... على ضفتي نهر الكـــلام تلـــوب
يمامات هذا النور أطياف أهلهـــا ... لهم مجلتي فوق النجـــوم خلـوب
يقودهم نحو الحمى بعد هجعـــة ... نزوع إلى نبع الخلـــود طلـــوب
قد انضى المطايا منهم لاعج الهـوى ... فلم يبق إلا أنســـــع وعلـــوب*
فحنوا إلى مخضل منتجع المنـــى ... وحثهم شـــــوق إليه سلـــوب
نشيدك زاد الروح نمنمت وشيـــه ... فرنمـــــه للسالكيـــن دروب
حدائق أتـــرج تأرج بالهـــوى ... فترقص من ورق الحمام عـــروب
تغني صبايا الحور من أنهر الـــرؤى ... على شاطئ، إن الكريـــم طـــروب
وفي الجيرة الغادين للقلب حاجـــة ... يكاد لها لولا الحيـــاء يـــذوب
ترقص أعطافـــا بها كل بانـــة ... لنازع هم المستهـــام جلـــوب
مرافئ أحلام رست حول عبرهـــا ... مواخر فلك الفكـــر وهي تجـــوب
بها جزر سحر اليواقيت ماؤهـــا ... وطير كرؤيا العاشقيـــن عجيـــب
أجل أيها البرق الذي شمت موهنـا ... لهنك مـــن بـــرق إلى حبيـــب
وفي الكلة الخضرا من الظعن التـــي ... بذي الرمث مكحول الجفون ربيـــب
إذا ما رواق الليل سردق بالدجـــى ... لذكراه في القلب العميد دبيـــب

---

* لا بد من تسهيل الهمزة هنا للوزن.

وركب إلى تلك المرابع نـــــــزع حدوت بهم حتى يضـــــج لغـــــوب
إذا ما أمال النوم أرؤسهـم شـــــدوا سبت لبه رؤد الشبـــــاب لعـــــــوب
وغناهم الحادي بأسحـــــار ليلـــــه شفاء قلوب العاشقيـــــــن نسيـــــب
ربيعك من زهر الجنان زنابـــــــق ومرعاك من وشي السماء خصيـــــب
ومن لم يذق طعم الهوى فهو ناقـــة بمعتلف تشكو الإبـــــاض حلـــــوب

القصيدة السادسة عشرة:

كنوز الذكريات

كنوز قلبك أطيـــاف من الـــــذكر ... بين العقيقين بالآصـــــال والبكـــر
يا رب منسك شعر لو وقفت بـــــــه ... هناك فهو لدينـــــــا علق مـــــدكر
وكرم أخيلـــــــة منها عصـــرت به ... من كل قافيـــــة لذا من السكـــــر
فأورقت شجـــرات الروح باسقـــــة ... تسقى نميـــر ينابيـــع بلا عكـــر
ورد الحدائق بعض من غضارتهـــا ... يكسو البصـــــائر براقا من الثمـــر
كم فاح نفح خزامى من حمائـــله ... بربوة القلب في مـــاض من العمـــر
ورب مسرح أحـــــلام أسمـــت به ... أنعام شعري لدى الجنات والنهـــــر
أيام توجت رأس الدهر من حبـــق ... بديع ما أنبت الفـــردوس من زهـــر
كم مطلع زين السبع السما قمـــــر ... به فعلمنـــــي ما بهجـــة السمـــــر

القصيدة السابعة عشرة:

شكوى إلى سيف ابن ذي يزن

هبطت على (غمدان) رحمة ربـــه ... فحقوله داني القطـــوف جناهـــا
مذ حبرته يد الغمـــام بديمـــة ... من سح هاطلـــة يعم جداهـــا
وشى الربيع بها خمائـــل روضـــة ... بالأقحـــوان ند تـــألئ فاهـــا
نسجت غلائل بردها من حميـــر ... أيد نسيج الخلد بعض ســـداها
إذ سد مأرب ما يـــزال قصيـــدة ... غنى أثيـــر الخافقيـــن حـــداها
من عهد تبع وهي ساجمة الحيـــا ... تمري ضروع الفرقـــدين يـــداها
إياك يا « سيف » يغنـــي شاعـــر ... خلعت عليـــه القافيـــات رداها
الهاتفات به هواتـــف عبقـــر ... والبالغـــات به قصـــي مـــداها
صدر الرعاء، وما يـــزال محـــلأ ... عن منهل عذب الـــورود سفاهـــا
يا ابن الذرى الأذواء خرطوم النهى ... السامكين من الفخـــار سماهـــا
جرد من العضب اليماني مصلتـــا ... يحمي من الفصحـــى ثغور حماهـــا
ما كل موشي الجفون مشطـــب ... يغني من البيض الرقـــاق غناهـــا

القصيدة الثامنة عشرة:

منبع الإلهام

فتحت شباك الصباح أغرد ... لما تلألأ خدها المتورد
غنيت للشمس الأميرة بلبلا ... من سحرها صور الجمال أجرد
أنشدت أقطار السما غزلي بها ... فمن الحيا شفق المسا متورد
نسجت خيوط قصائدي قمرا لها ... فالليل عن كلل المها متجرد
طرزت من لغة الحجاز عباءتي ... فغناي شماخ الصدى ومزرد[1]
طوفت في جزر الغرابة سائحا ... لقصور لألاء القريض أمرد
ورفعت راية غيمة قزحية ... فلعبقر حبك المجرة مورد
وهواتف الإلهام ملء سما الغنا ... يا منبع الإلهام : ماذا أنشد؟
هطلت علي من البيان غمائم ... وطفاء تبرق بالغناء وترعد
وعدت بقدسي التنزل غرها ... يوما فانجز مذ هتفت الموعد
تتموج اللغة الأثير بخافقي ... فالشعر للحلم المحلق مصعد
الآن عن سبإ كشفت غطاءها ... فمعي يبشر بالكتاب الهدهد
هومت أعصر خمرة الأفراح من ... كرم الفراديس التي تتأود
إني نفضت عن الأغاني غبرة ... كيما يلين من القوافي المقود
فمشى القصيد الهيدبى وتهدلت ... دوحا « عكاظ » بروضه و«المربد»

---

1 - الشماخ ومزردهما ابنا ضرار الشاعران المخضرمان الأخوان.

وتراقصت حور الصبايا وانتشـــــــى بحر الأناشيد المحيـــــط المزبـــد
فشوارق الإلهام هاطـــل حكمـــــة وحمام مخضـــــل النبوغ مغـــــــرد
يهتفن بالتكبيـــــر في سكر الغنـــــا أمكبر هـــــذا الغنـــــا ومعربـــــد؟!
فالروض من أرض القلوب أزاهـــــر والطلح من خضر الجنـــان مخضـــد

القصيدة التاسعة عشرة:

ترنيمة الروح

كما تأود غصن البانة القصف ... عنها تفرج مثل اللؤلؤ الصدف
أذوب في طرفها المعراج ذاكرة ... من طاهر الحب تستأني وتنجرف
بخورها من أساطير تناسخ بي ... جزيرة ببديع الشعر تكتشف
زهر النجوم قناديل لحجرتها ... وتحت أقدامها الرمان يقتطف
ردت لنا من شباب الدهر شرته ... وكان أوشك عمر الدهر ينتصف
مخرت أنهار أمواج النجوم لها ... فظل يحجبها من حسنها السدف
عيون عذرة أسطول يلاحقني ... فأينما كنت من قلبي لها هدف
حنت إلى أيكها ورق مطوقة ... مذ أن نأت بالهديل النية القذف
ينحل عنها نقاط الذكريات مني ... خضرا تراقص من أكمامها السعف
حيت فماجت من التفاح أنهره ... وأورق الحجر الصوان والخزف
كما يشاء خيال المبدعين بما ... تفنن الرفق في الحسناء والعنف
لولا خسيف ركايا من ينابعها ... لأوشكت بئر هذا الشعر تنتزف
تلتف بالياسمين الغض زاهية ... فواحة العصر منها الروضة الأنف
طرزت من قصب الشطآن مئزرها ... ترنيمة من حداء الروح تنعزف
نفخت سور أساطيري بمبخرة ... منها تلوى بكف المعصم العرف
جبلت من طينها نارا مؤججة ... من الغواية فهي السحر والشغف
أميرة الوهم فجر المستحيل ذرى ... شمارخ الحلم تعلولي وتنغرف
فلكت من جامع الرؤيا نواهدها ... يكاد ينفجها الإغراء والترف
أدرت من شفق الظلما لها شفة ... فودت الشهب تلك الخمر ترتشف

جبلت من مرمري الخلد لبتهـــــا ... فأوشكت مبهمات الغيب تنكشـــــف
وشعرها من عذوق الليل ظل هـوى ... منه كمنسدح اليقطيـــن ألتحـــف
حلت ضفائرها شنقيط غانيـــــــة ... كمثل منآد غصـــن البان تنعطـــف
لما تـلألأ من أبراجهـــا قبـــب ... صلت بمحرابها الجوزاء تعتكـــف
تلين ريح سليمان القيـــاد بهـــا ... وتدخل الصـرح بلقيس فتنكشـــف
تزهو الطواويس من كمي عباءتهـــا ... هينونة الخطو منها المشيـــة القطف
قد صافحت حلو نسمات الربيع بهـا ... بيض الكواعب في آذانها النطـــف
مستقبلات صباح العيد في فـــــرح ... وأن تقابل أهليهـــا لها الشـــرف

القصيدة العشرون:

بغداد في لامة الميدان

من حقل صدرك يا أنبار[1] يوم ربـــا ... واخضوضر الشعر في أفواهنـا عـــربا
وفاضت البصرة العذراء قهقهـــــة ... من معصـــر قلبها من حبها اختلبـــا
تمـــورت ألقا بغـــــداد فارعـــة ... هيفاء دهلـــت الدنيـــا بها قببـــا
تنساح غابة أرز تستفيـــض هـــوى ... ومن جدائلها النخـل الأبي شبـــا[2]
يستوسق السدر والدفلى بمئـــزرها ... تحبو خمائلها الغوطـــات والسهبـــا
من سحر بابل محبـــوك جدائلهـــا ... هاروت فيها ومـــاروت كم اصطحبـــا
والرافدان زبورا الكـــون ما فتئـــا ... يرتـــلان هنا من عـــزنا الكتبـــا
ما زال لا زال يرعـــــانا ويكلؤنـــا ... من حضنها الدفء لامنـــا ولا عتبـا
يسافر البحر في أجفانهـــا غـــــردا ... مجودا سور الأمـــــواه مصطخبـــا
والسومري بها ما انفـــك مبتكـــرا ... آيات فن تحـــدى وهجها الحقبـــا
تنداح سبعة آلاف القـــرون بهـــا ... برجا علا عنه قرن الشمـس ما غـــربا
بغداد في لامة الميدان ساجعـــــة ... بالشعر خافقهـــا بالعزة اختضـــبا
فمن يغني وشخص الموت منتصـب ... إلا الذي صدره ملء العلى رحبـــا
ردد صهيلك في بغداد رعد إبـــــا ... واسكب شموخ السماوات العلى شربا
واختر لنفسك من شيبـــان سابغـــة ... وصافنا حضرة الفـــردوس إن وثبـــا

---

1 – يقال إن الأبجدية العربية ظهرت أول مرة في الأنبار

2– شبا : طال وارتفع.

اعذوذبي كعراجين النخيـــل كما ... تفتق الشمس من أكمامها اللهبـــا
أيا عصارة أمجاد العروبـــة يـــا ... بغداد يا أم يا حصن النهى الأشبـــا
بغداد عفرت خدي أكبـــر العـــربا ... في وجنتيك أناجي الحب والغضبـــا
وأعرج الحلم في مرقى قداستـــه ... وأعصر الكرم من خديك والعنبـــا
فيك اندغمت بنرفانا[1] الوجود عسى ... من الغضارة غيثا يمطـــر العربـــا
أوحى إلى الطين أنغاما ممخرقـــة ... من الصعاليك غلبا تسكـب اليلبـــا
وأغزل البحر والإعصـــار غلغلـــة ... من الصهيل تمج الصعقـــة الغلبـــا
أفجر النصـــر بركانـــا مدججـــة ... كباتـــه بأزيز الرعـــد قد جلبـــا
بغداد والركض طوفان سيجرفهـــا ... جذي الأنابيش أوفا ستأصلي العطبـا
يا قلعة العرب الشمـــاء إن بنـــا ... شوقا إليك أذاب الجسم أو كـــربا

القصيدة الحادية والعشرون:

لحن الحنين

للمدى الممتد من عطر السنيـــــن ... كأزاهير حقـــــول الياسميـــــن
وقع اللحـــــن هـــزار راقـــص ... يتغنى ركض خيـــل الفاتحيـــن
يوم كنا مهبـــــط الإعجـــاز مـن ... خارقات الفكـــــر بين العالميـــن

* * * ... * * *

أخرس الليل عنـــاء العاشقيـــــن ... وطغى الشك على نـــور اليقيـــن
وارتمى الحيران في بحر الهـــوى ... تصرع الربان ألـــــواح السفيـــن
فابسطي أشرعة القلـــــب لـــه ... أنقذي الغارق من ريـب المنـــون
فضلوع القلب منـــــه قـــارب ... يحمل الأهل إلى سفـح الجفـــون
واسمعي من معبد حلـــو الغنـــا ... عبقريا ما خـــرا بحـــر السنيـــن
واشربي كاس الهوى وهنـــــا معـي ... رددي، عشت، معي لحن الحنيـــن

* * * ... * * *

نحن كنا مطلـع الشمـــــس على ... كرة الأرض بعـــــدل ويقيـــن
وبشعر أخضـــــر الأحـــــلام قد ... عبر الغيب إلى عـــدن الفنـــون
وكنوز الحـــــب من آياتنـــا ... من تراث الأمة العلـــق الثميـــن
هذه الأنجـــــم في أفلاكهـــا ... في طريق الحب بعض السالكيـــن
هذه الموجات مهمـــا تصطفـــق ... رتل المـــوج كتاب العاشقيـــن

* * *

أهل بيت شملهـــــم مجتمـــــع ... من غـــــلال وكنـــــوز وبنيـــــن
ولسان الضاد مخضل الـــــــرؤى ... نبع إلهام لهـــم عـــــذب معيـــــن
مذهب عبر التآخـــــــي واحـــــد ... وحـــــدود لا تعيـــــق القادميـــــن
مغرب رحب فضـــــــاه جامـــــع ... مشـــــرق الآفـــــاق وضاح الجبيـــن
فتغنـــــوا مجـــــــده هاطلـــــة ... من غوادي البشر والسعد الهتـــــون
وارفعـــــوا أعلامـــــه شامخـــــة ... طالما غنى لكم لحـــــن الحنيـــــن
عادت الطيـــــــر إلى وكناتهـــــا ... وتلاقى الأهل في العيـــد المكيـــن
وطـــــن رف علـــــى بسماتـــــه ... فلق الخلد موشـــــــى الطـــــرتين
رافع الـــــــرأس على علاتـــــه ... واعد في غـــــــده بالخضـــــرتين

القصيدة الثانية والعشرون:

جنة السكـــــر

يا جنة السكر المطحون والتيـــــن ... إلى حماك، إلى الفـــــردوس آويني
إلى خطى ذلك الفجر الوليـــد إلى ... دفء الأنوثة في الحسن الأفـــــانين
إني فتى مرهق الأحلام فالتمســـي ... نقاهة لخيـــــــالي، واستفـــــزيني
بصدرك الآبق الرمـــــان، أبطـــره ... زهو الأنوثـــة من عنـــــف إلى لين
بكهربا الحور المسكون بالخيـــــلا ... بذلك الناهد الملغـــــوم يغـــــريني
بجيدك الأغيـــــد الغريد مرمـــــره ... بعزة الإثـــم من وحي الشياطيـــــن
بنعمة العكن المنـــــــذور برزخهـــا ... لعرس منتصـــــر في يـــــوم حطيـــن

القصيدة الثالثة والعشرون:

الجمال الصوفي

تظللين سمـــاء الفكـــر غاديـــة ... من الغمام، وحقـــلا من فوانيـــس
وهاتفا من تجلـــي الشعر أنزلـــه ... ربي علي لتقديســـي وتأنيســـي
جمال روحك أنسانـــي تصوفـــه ... حسن اختيال بديعات الطـــواويس
ونسك عقدك في محراب صومعـــة ... من جيدك الأغيد الزاكي المقـاديس
وفاترا من رخيم النغـــم مخبتـــة ... فيه جداول رقـــراق الأحـــاسيس
وبسمة أنفـــق الدنيـــا وزينتها ... فيها، ونهدا كرمـــان الفـــراديس
وفي جفونك من سحر الأنوثة مـــا ... يكفي لتدمير واشنطـــن وبـــاريس

القصيدة الرابعة والعشرون:

شاطئ الحلم

من شاطئ السدرة القدسية النغـــم ... أرسيت من وسوساتي زورق الحلـــم
وأشرب القلب من مسحور فتنتـــه ... غضارة القمر المعشوشـــب الكلـــم
وسامرتني بفردوس الرؤى حـــرق ... من سكرة الروح مخضل بهن دمـــي
وزغردت في سما الفردوس قبـــرة ... فنبهت غافيـــا من أعيـــن الديـــم
أخيط جرحي على إكسير أحرفهـــا ... فيورق الصخر من سلسالهـــا الشبـــم
وألثم الزهر من استبـــرق نضـــر ... تقبيل أتقى البرايا كعبـــة الحـــرم
هذا الحرير الذي ألبستني حلـــلا ... من النجوم، عناقيـــدا من النعـــم
لآلئا من خيوط الشمـــس تغزلهـــا ... هذي المطوحة الإلهـــام بالســـدم
خطوطك البلسم الشافي أمررهـــا ... بالصدر مني، فيشفي وهجها سقمـــي
وأقرأ الأحرف اللائي كتبت بهـــا ... يفور زمزم فيها الطهـــر من قلمـــي

القصيدة الخامسة والعشرون:

النـــــــؤي

لو كنت آمن هذا البحر إن هاجـــا ... عانقت منك شعاع الروح وهـــــاجا
ألقيتني للهوى في ملتقى طـــــرق ... حيران لم أتبين فيه منهـــــــــاجا
أنبت في روض هذا القلب مملكـــة ... من الحدائق تروي النفس إبهـــاجا
فللضحى باح بالمكنون من ضـــرم ... حاجى به الليل إذ إياه قد نـــــاجى
من ظالمينا أقال اللـــــه عثرتنـــا ... إن غلغلوا ساطي الألحاظ مغناجـــــا
إن الهوى غير مأمـــــون غوائلـــه ... إذا دخلنا بدين الحـــب أفواجـــا
احجز عن الحسن نؤيا ما اعتصمت به ... يحميك من سيله الطوفان إن هاجـــا

القصيدة السادسة والعشرون:

أغني وقد عرفت طريقي يناير 1977هـ

بح صوتي من النـــداء فهـــاتي ... طالما ردد الصـــــدى آهـــاتي
تعب الليل من شكاتي وأوهـــــى ... لا شعوري تزاحـــم الذكريـــات
وحدتي أنت نبض مـاء حيـــاتي ... فيك ركزت منتهـــــى طاقـــاتي
أنت فكـــر مخـــامر لعـــروقي ... ونسيـــج مركـــب من ذاتـــي
أنت لي مرفأ ارتيـــاح وشغلـــي ... بك مهما تعـــــددت مشكـــلاتي
ها هنا تلتقـــــي أواصر عـــرق ... وشجت بين لحمـــة النسمـــات
ها هنا من منابع الضـــوء نجـــم ... عربـــي مـــورد القسمـــات
ها هنا الناي والمـــزامير رمـــز ... لمشيـــج مقعـــد النبـــرات
ها هنا ترقص السعـــادة حلمـــا ... أبديا يغـــوص في الماهيـــات
وحدتي أنت نبـــض ماء حيـــاتي ... فيك ركـــزت منتهـــى طاقـــاتي
ظلت حلما مشـــردا وطموحـــا ... وخيوطا من الـــرؤى خائـــرات
ورضوضـا من المشـــاعر غـــرقى ... ومواويل كالصـــدى خفـــرات

* * * ... * * *

ظلت شوقا مجـــردا غير أنـــي ... بعد نضجي جسمت تلك المعـــاني
وكشطت الفراء عن جوهـــر الحـ ... ـق فعـــرى طبائـــع الأكـــوان
كنت ألقاك خضرة في الريـــاحيـ ... ـن وشعـــرا مطـــرز الألـــوان
كنت ألقاك دفقـــة من لجيـــن ... في مرايا الغـــدران والألحـــان

في إباء الزعازع الغلب غضبى ... في المنايا في نخوة البركان
أنت هذا الوجود طرا فهلا ... كنت بعض الوجود علي أراني؟
أنا طفل في حجرة الفن أسقي ... شجر الحب من دما شرياني
ناولوني نظارتي آه ماذا ... خلت أني أبصرت كنه الجمال
ووراء التلال ماذا أراه ... أي شيء يموج خلف التلال؟
كيف تروي حكاية الخلد موميـ ... ـات قومي من بين تلك الرمال؟

* * *

من أنا؟ من أنا؟ أريد جوازا ... لحياتي فقد سئمت الضياعا
فاخسئي سلطة الأجانب إني ... لست طفلا أبغي لديك الرضاعا
من أنا ما هويتي أين أمضي ... خلني خلني فلست متاعا

* * *

يومها كانت البلاد خرابا ... ورموسا ملففات وغابا
يومها كانت البلاد شظايا ... مزقوها فصائلا وشعابا
يومها كانت البلاد يبابا ... فبدأنا نشق فيها الصعابا
وانتزعنا أجنة الأرض خاما ... لنقوت الآلاف منا الجياعا

* * *

من أنا؟ من أنا؟ أريد جوازا ... لحياتي فقد سئمت الضياعا
كان قد قوس الظلام قناتي ... وسباني، مضاربي، وبناتي
وأمات الحقوق في معجماتي ... غير أني نقبت في الحفريات
ووراء القضبان رق قديم ... دونت فيه صفحة من حياتي
فوداعا فلن أكون ظهيرا ... للشياطين بعد صحو سباتي
وسأمضي مع النجوم طليقا ... ناثرا في الدروب لحن الأباة

سوف أبني بساعدي هرم الخلـــــد وأجتاز كل حـــــزن ووعـــــر
أغرس النجم في سماء بـــــلادي وأبث الأزهـار في قلب صخـــــري
وأغذي سنابـــــل الـزرع حتـــى أملأ البيـــد من جنـــان وعطـــر

* * *

أطحن الغول والشياطين طحنـــــا وأسوم العنقـــــاء خسفا ورجـــــزا
سوف يورق مع الصواريخ فكـــري سوف أسعى لأدرك الشمـس قفـــزا
كيف لا تثلج المـــــدام عـــروقي وأغني وقد عرفـــــت طريقـــــي
كيف لا تورق الحيـــاة بنفســـي كيف لا أحتفـــي بعيد شـــروقي

القصيدة السابعة والعشرون:

السبحات القدسية

هل لي إلى طيبة من بعد مفتـــرق ... إلى اختراق المدى من فجر مختـرق
ورعشة من أثير الحلم منعشـــــة ... وهزة من حميا الشـــوق لم أفـــق
وقبسة من فيوض النور تغرقنـــــي ... في زاخر من بحار الوهج مؤتلـــق
وركضة في فجاج لا حـــــدود لها ... بساطي النجم والجـوزاء مرتفقـــي
مزحلقا من ربى الفردوس منسأتـــي ... عناقد الشهب ذات المبسم اللبـــق
مهوما في تنـــاهي سبح ناشئـــة ... من دافق من عباب الروح منطبـــق
ومجتلى للأماني أستسيـــم بـــه ... في جنة الآس والليمـــون والحبـــق
مرفرفات على دارات خاطـــرتي ... كركضة الحور في مضمار مستبـــق
تصفو به الروح حتى لا حجاب لهـــا ... ولهانة في تجـــلي بـــارئ العلـــق
هنالك الروح تـــزكى محلقـــة ... في معرج الحنفا في عصبـــة حـــزق
تنساب في كمي الأقمـــار طافيـــة ... هونا على مطلق كاللـــؤلؤ المـــزق
من هاتف الشعر معراج لأخيلتـــي ... يعوم من عبقر في سحـرها اليقـــق
سجادتي البحر مضروب سرادقهـــا ... في ردهة من جيوب الشمس في شقق
فوارق السحب من معراج خاطـرتي ... إلى سديم هيـــولى ذلك الأفـــق
مفارق السحـــب آناء مسارحهـــا ... أو هي من حجزات البحـــر في نفق
آفاق طيبة من روضـــات جنتهـــا ... إلى الهوى والعلا داراتها طـــرقي
فنعم طيبة إذ تصفو الحيـــاة بها ... بمجتلى الروح بالأسحار إن يـــرق
تنشق عنه كنوز الذكريـــات رؤى ... فيخفق القلب شـــلالا من الألـــق

القصيدة الثامنة والعشرون:

الشمس ياقوتة في تاج منتصر

كمثل أجنحة الأحـــلام رفافـــه ... هبت نسائم غيث اليمـــن هفافـــة
قد أيقظت من حقول الروح غافيهـا ... تعيد كالسحر للإحســـاس إرهافـــه
يستعرض الحسن كنزا من ممالكـــه ... حتى خشيت عليه اليـــوم إسرافـــه
وتبسط الفرحة المغناج أيديهـــــا ... للبسر تعتام فوق النخـــل تقطافـــه
طافت على الشرب بالكاسات حانيـة ... بالود أشكالـــــه تسقي وأصنافـــه
وافوا ذويهم وقد كانوا على ظمـــأ ... تحينوا من زلال الوصـــل ترشافـــه
طاف السرور علينـــا لابسا حبـــرا ... يكسو الوجود مع الإشراق أفوافـــه
فهوم الشعر يرقى في معارجـــــه ... دخان مبخـــــرة في كف عرافـــه
بطالع من بروج السعـــد مؤتلـــق ... يكلل الغار تاج الفـــــوز أشرافـــه
فالشمس ياقوتـــة في تاج منتصـــر ... والكون هز من الأفـــراح أعطافـــه
وقرقرير حمام الأيـــــك مائجـــة ... أنهـــاره عن طقـــوس العيد شفافـــه
تفتح الزهر من أكمامـــه سحـــرا ... بدائعا كابتسام الحـــور رفافـــــه
وأسرجت ملكات الحسن زينتهـــــا ... روضا يلف (بتفـــرغ زين)* ألفافـــه
ومن حرير خيوط الفجـــر أكسيـــة ... منهن بنثر نصـــر اللـــــه ألطافـــه

---

* تفرغ زين: حي من الأحياء الراقية في انواكشوط.

القصيدة التاسعة والعشرون:

شنقيط أغنية التاريخ

هل غادر المتنبي المشرف* الحجله* ... لمبدع بعده أن ينتقـــي زجلـــه
أم هل عثرت على كنز لقافيـــــة ... تلامس القلب قبـــل الأذن مرتجله
آلاف أطنان هذا الشعـــر أرمـــدة ... تجرها عنكبوت الزيـــف منتحلـــه
فاربأ بشعرك عن مضمـــار مستبـــق ... إلا إذا المشتري جارى به زحلـــــه
واسلك بمركبة الإلهام كل فضـــا ... لا تشتكي سهل مرتـــاد ولا جبلـــه
فالبحر أحشاؤه بالـــــدر مائجـــة ... والشعر ما من لآليه الغنـــا جبلـــه
فاستول فيه مدى الدنيا على أمـــد ... في حلبة بمكر الشعـــــر منتضلـــه
شنف بأقراط هذا الشعر أذن مـــلا * ... يرتاد مخصب جنات العلا الخضلـــه
شيد بأمجاد شنقيط بأفق سمـــــا ... غر المكارم قصـــرا رافعـــا قللـــه
شمائل من لباب العـــز منجبلـــه ... غر على كتف الأيـــــام منسدلـــه
وحكمة تبهر الدنيـــا شوارقهـــا ... أسنى الكواكب منها مضمر خجلـــه
من ودق كل خصيب الفكر إلف تقي ... فمسقط الغيث منها منـــــزل نزلـــه
حيتك من لؤلؤ الأشعار قافيـــــة ... بظل أعين حـــور العين مكتحلـــة
تخضر في شفة التاريـــخ أغنيـــة ... تبوجت من شعاع البرق مشتعلـــــه

---

* بناء مشرف : أي أعال

* الحجلة : مثل القبة، وحجلة العروس: بيت يزين لها بالثياب والأسرة والستور.

* الملأ بالهمزة علية القوم وخيارهم وقد سهلت الهمزة للشعر.

تمري ينابيعها المـــدرار أخيلـــة ... بساجم من غوادي الفن منهملـــــه
تختال كالكاعب الأملود أبطرهـــا ... من ذكرك العذب أو قد ظاهرت*حلله
هزت بذكرك أعطـــافا معـــردة ... كما تأود بانات اللـــوى الهطلـــه
نمنمت من وشي إخلاص فراقدهـا ... عمائما فوق تاج الدهـــر منهـدلـــه
تفيأ الظل من جناتهـــا الأدبـــا ... مثل العروس تبوت متكا الحجلـــــه

---

* ظاهر الثوبين: طابق بينهما.

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله

ورقة عن الشاعر

الشاعر محمد الحافظ بن أحمدو رمز معروف ووجه لامع بارز من أوجه الأدب والثقافة العربية المعاصرة، يتفصى من التعريف لتعدد اهتماماته الثقافية، الجامعة بين الإبداع الشعري المتميز (من خلال حسن المؤاخاة بين الأصالة والتجديد) وبين النقد الأدبي المبتكر، والذي يعد مدرسة فيه بالقطر الموريتاني، وهو كاتب قصصي، وذو إطلاع واسع على الحديث النبوي الشريف، ويمتاز بأنه في موريتانيا يعيد إلى الأذهان تجربة العقاد في العصامية الثقافية والاعتماد على التثقيف الذاتي، رغم أنه عب من معين المدارس الأهلية (المحاظر) على أيدي خيرة جهابذتها، فأتقن القرآن الكريم وألفية بن مالك في النحو، وأحاط بأغلب الموسوعات الشعرية، الجاهلية والأموية والعباسية وقد التحق بالإعدادية، وقضى بهذا ثلاث سنوات أخذ خلالها الشهادة الإعدادية بتفوق، ودخل الثانوية فكاد ينهيها لولا أنه انخرط في سلك الصحافة الأدبية المسموعة والمقروءة، ثم حصل على زمالة صحافية في العراق، وقضى هنالك سنة خصبة اطلع فيها على الشعر المعاصر من عربي ومترجم، فأغنى تجربته التراثية بروافد حديثة واسعة، ثم التحق بالمعاهد السعودية فحصل منها على شهادة الثانوية بامتياز، ثم عاد إلى الصحافة الأدبية في موريتانيا، وقد تألق نجمه في الإذاعة الوطنية فأصبح رائدا لمدرسة أدبية معاصرة متميزة، تجمع بين الحداثة عمقا ومضمونا وتجربة، وبين الأصالة تمثلا واستيعابا واستحياء.

ينتمي الشاعر إلى أسرة عريقة في التقوى والصلاح اشتهرت بمشائخها الأولياء الكبار، ينتهي نسبها إلى قبيلة حمير العربية القحطانية.

كتب الشاعر عدة دواوين شعرية منها:

- ديوان المحكمات عراها، في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.
- صناجة العرب
- ديوان العرب.

وآخر هذه الدواوين : عودة الهديل، وهو الديوان الذي أمامك.

وله تآليف نثرية منها:

- في رحاب الأدب، وهو مجموعة مقالات نقدية تستنطق طائفة من قصائد الشعر العربي بطريقة عصرية مبتكرة وقد ألفت عنه كتب عدة منها على سبيل المثال :
- البعد القومي في شعر محمد الحافظ ولد أحمدو
- وهي رسالة تخرج من جامعة انواكشوط نالت بها الطالبة: البتول بنت أحمد المتريز في الآداب سنة **1996 – 1997**م.
- الصورة الشعرية في شعر محمد الحافظ بن أحمدو، نال بها الشاعر سيدي ولد الأمجاد المتريز في الآداب من جامعة انواكشوط.

وهناك كتب أدبية تناولت شعر الشاعر ضمن مجموعة من الشعراء الموريتانيين مثل كتاب: توظيف الموروث في القصيدة الموريتانية الحديثة للشاعر الأديب محمد عبد الله ولد عمر

وكتاب: ألفته الشاعرة الأديبة مباركة بنت البراء،

وكتاب ألفه الشاعر الكاتب محمد بن عبدي

وكتاب الدكتور محمد الحسن ولد محمد المصطفى.

هذا وقد حصلت كثير من قصائد هذا الديوان على جوائز متعددة محلية وعربية، ثم توج الديوان هذه الجوائز بحصوله مجتمعا على جائزة شنقيط للآداب وهي أعظم جائزة في القطر على الإطلاق مع أرفع وسام من رئيس الدولة.